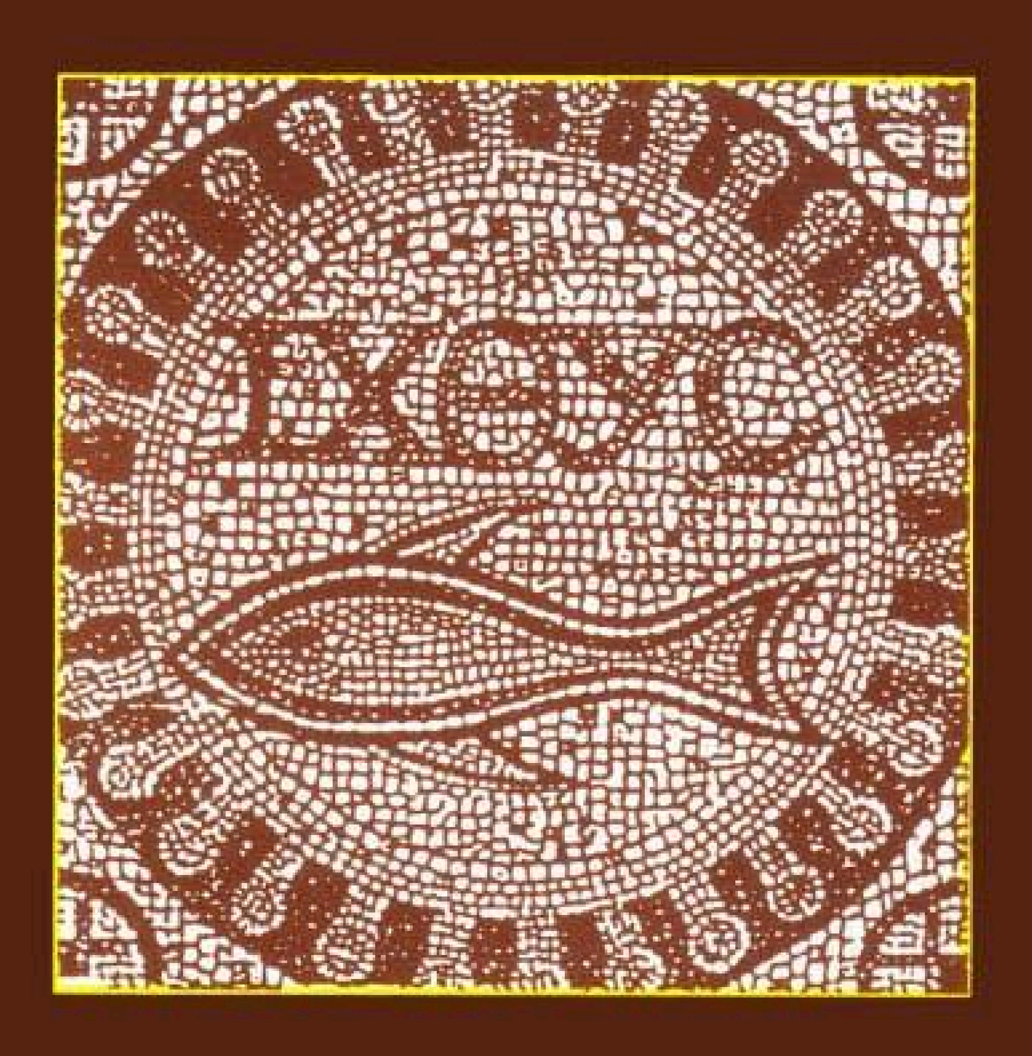
إيبارشية ايرلندا و اسكتلندا و شمال شرق انجلترا
كنيسة السيدة العذراء و الشهيدة دميانة
دبلن -ايرلندا

دفاع عن
قانون إيمان مجمع نيقية



بقلم

القديس آثناسيوس الرسولى

+

إيبارشية ايرلندا واسكتلندا وشمال شرق انجلترا
كنيسة السيدة العذراء والشهيدة دميانة
دبلن - ايرلندا

::::::::::

دفاع عن

قانون إيمان مجمع نيقية



بقلم

القديس أثناسيوس الرسولى

الى الحبيب / ابونا اثناسيوس

إيبارشية ايرلندا واسكتلندا وشمال شرق انجلترا
كنيسة السيدة العذراء والشهيدة دميانة
دبلن ـ ايرلندا
::::::::::

دفاع عن
قانون إيمان مجمع نيقية

Defence of The Nicene Definition

بقلم

القديس أثناسيوس الرسولى

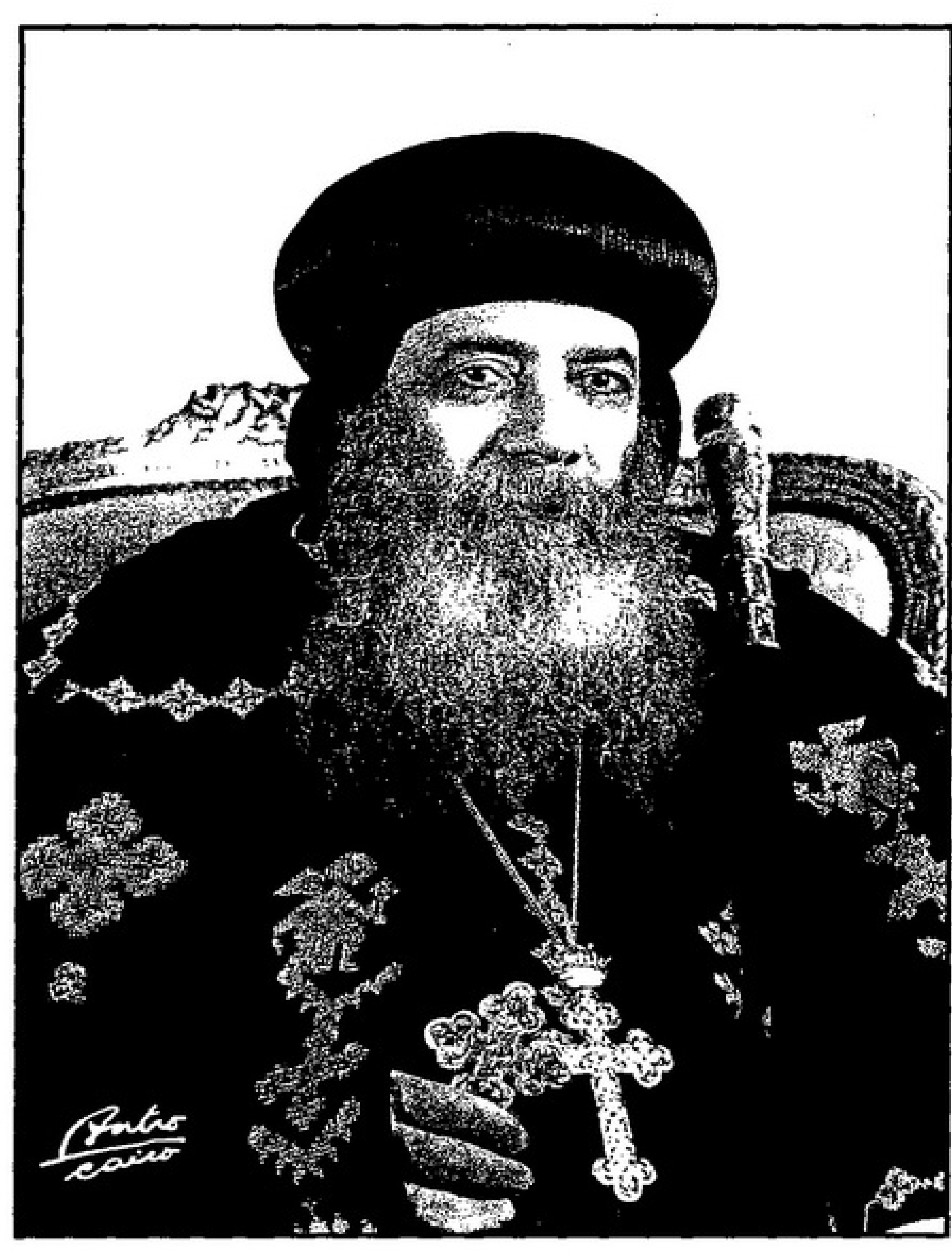
إعداد

القس أثناسيوس فهمى چورج

تُرجم من النص الإنجليزى الوارد فى

A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of The Christian Church, second series, volume IV, 1991, pp. 149-172, edited by Philip Sshaff and Henry Wace.

اسم الكتاب: دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية
تأليف: القديس أثناسيوس الرسولي
إعداد: القس أثناسيوس فهمي چورچ
الطبعة: الأولى ١٩٩٨
المطبعة: مطابع كونكورد. ت: ٢٠٥٧٩٠٢ - ٢٠٥٧٩٠٣
رقم الايداع: ١٣٣٩٤ / ٩٨



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازه المرقسية



نيافة الأنبا انطونى
اسقف ايرلندا واسكتلندا وشمال شرق انجلترا

مقدمة

إن الكنيسة المسيحية كنيسة مجمعية منذ نشأتها، من حيث أن الروح القدس حل على التلاميذ وهم فى هيئة كنيسة (أع١)، وعندما تأسست الكنيسة القبطية بكرازة مارمرقس الرسول بطريرك الاسكندرية الأول، صارت تحتفظ بشهادة الرسل وتعليمهم ممثلاً فى تعليم كاروزها الذى أسسها، وأصبحت مؤتمنة ومسؤولة عن حفظ هذه الشهادة التى للآباء الرسل جميعاً لذا حملت كنيسة الله فى الاسكندرية المناداة بالتعليم الرسولى وحافظت عليه معاشاً على مر تاريخها الطويل.

وهكذا إنعقدت المجامع فى كنيسة الاسكندرية منذ القرن الأولى على نفس نمط كنيسة أورشليم. لأجل هذا إنشغل آباء كنيسة الاسكندرية كباقى الاباء بالدفاع عن لاهوت السيد المسيح وتدبيره الخلاصى «الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء» (١بط١ :١٠) هذا الخلاص كان ومازال هو موضوع كرازة الكنيسة على فم أبائها ومعلميها، إذ ليس هناك أمر آخر إنشغلوا به سوى توصيل كلمة الله الحاملة لبشرى هذا الخلاص، وكل عقائد المسيحية تدور حول هذا الخلاص الثمين. وعقيدة لاهوت المسيح ليست مجرد عقيدة أساسية، بل بغير لاهوت المسيح ما كان يمكن أن يكون الخلاص الإلهى للإنسان. هكذا برهن آباء الكنيسة على لاهوت المسيح.

ولأن الكنيسة القبطية كنيسة تقليدية *Traditional* وكنيسة محافظة *Conservative* تحفظ الإيمان الرسولى المُسلم لنا من القديسين (يه ٣) ولا تنقل التخم القديم الذى وضعه آباؤنا (أم٢٢: ٢٨)، لذا من التقاليد الأساسية فيها أقوال الآباء القديسين وقوانين المجامع المقدسة المعتمدة التى كانت شاهداً جماعياً

على سر الإيمان المسيحى الأول فى مواجهة البدع والهرطقات.

ومن بين هذه المجامع المسكونية مجمع نيقية المسكونى، فهو أول المجامع المسكونية التى تعترف بها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية، وقد إنعقد سنة ٣٢٥م وحضره ٣١٨ أسقفاً من سائر أنحاء العالم، ووضع قانون الإيمان حتى قوله: «نعم نؤمن بالروح القدس». وتعترف جميع كنائس العالم من أرثوذكس وكاثوليك وبروتستانت بمقررات هذا المجمع ويتلى قانون الإيمان فى كل كنيسة.

أما المجمعان الآخران اللذان تعتمدهما الكنيسة فهما: مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م (حضره ١٥٠ أسقفاً) الذى وضع بقية قانون الإيمان حتى قوله «وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين»؛ ومجمع أفسس عام ٤٣١م (حضره ٢٠٠ أسقف) الذى وضع مقدمة قانون الإيمان «نعظمك يا أم النور الحقيقى».

وكان السبب الرئيسى لدعوة جميع أساقفة العالم للإجتماع معاً فى نيقية هو إقرار مبادئ الإيمان المسيحى ووضعها فى فصول قانون ثابت محدد يكون دستوراً للمؤمنين على مدى الدهور، ولدحض البدعة الاريوسية التى ابتدعها آريوس الهرطوقى الذى أنكر ألوهية السيد المسيح وعدم مساواته للآب فى الجوهر.

لذا دعى الامبراطور قسطنطين الكبير أساقفة المسكونة لعقد مجمع فى نيقية بسبب بدعة آريوس التى كانت قد أزعجت الكنيسة وعكرت صفو سلامها فى أيام أربعة باباوات متتابعين من بطاركة الاسكندرية وهم البابا بطرس خاتم الشهداء (١٧) والبابا أرشيلاوس (١٨) والبابا ألكسندروس (١٩) والبابا أثناسيوس (٢٠).

هذا وقد قام البابا بطرس خاتم الشهداء بحرم آريوس وبدعته وقطعه من شركة الكنيسة وأعلن لتلميذيه أرشيلاوس وألكسندروس اللذين خلفاه فى البابوية سبب تجريده لآريوس قائلاً: «لست أنا الذى حرمته بل السيد المسيح لأنى فى هذه الليلة بعد أن أكملت صلواتى ونمت رأيت شاباً قد دخل علىّ ووجهه مضئ كالشمس وعليه ثوب متشح به إلى رجليه وهو مشقوق وقد أمسك بيده القطعة

الممزقة، فصرخت وقلت: يا سيدى مَنْ الذى شق ثوبك؟ فأجابنى: آريوس هو الذى مزق ثوبى فلا تقبله. واليوم يأتيك قوم طالبين منك إرجاعه فلا تطعمهم وأوصى أرشيلاوس وألكسندروس بأن يمنعاه من شركتهما».

ويقول يوسابيوس القيصرى أبو التاريخ الكنسى أن الدعوة لعقد مجمع نيقية قد جاءت من الامبراطور قسطنطين نفسه، لكى يضع آباء الكنيسة دستوراً لإيمان الكنيسة الجامعة، وبهذا صدر الأمر الامبراطورى الذى يقضى بعقد أول مجمع مسكونى فى مدينة نيقية.

وقد اختار الامبراطور مدينة نيقية لتكون مقراً للجميع لكونها ميناء يسهل الوصول إليه، ولقربها ايضاً من عاصمة الامبراطورية الشرقية «نيقوميديا» فى آسيا الصغرى. هذا وقد لبى الدعوة ٣١٨ أسقفاً من الشرق والغرب.

وقيل أنه بعد أن قُيدت أسماؤهم كانوا كلما احصوا عددهم يجدون أنهم ٣١٩، فكفوا عن العد وفى مخافة أحسوا أن السيد المسيح حاضر معهم مما أفرح قلوبهم وطمأنهم على سلامة كنيسة المسيح التى إقتناها بدمه الكريم.

وكان من أشهر أساقفة المجمع: مكاريوس أسقف أورشليم الذى اشتهر بما أجرى الله على يديه من عجائب، وأسطاسيوس أسقف أنطاكية الذى أقام الميت حياً، وهيباثيوس أسقف غنغرة الذى نال إكليل الشهادة بعد إنتهاء المجمع، أما البابا ألكسندروس السكندرى فكان من أبرز الذين جاءوا معه القديس بفنوتى أسقف طيبة الذى أُحتسب ضمن المعترفين، وبوتامون أسقف هيراقليا الذى استشهد فيما بعد على يد الأريوسيين. إلا أن أبرزهم جميعاً كان أثناسيوس شماس البابا ألكسندروس الذى كان له الدور الأكبر فى دحض بدعة آريوس.

كما حضر ايضاً آريوس مصطحباً معه فلاسفة أريوسيين، وأعطاه المجمع هو وأتباعه فرصة التعبير عن معتقداتهم، ويقول المؤرخ روفينوس أن الأساقفة كانوا يجتمعون يومياً ويتداولون بكل صبر وإسهاب، حتى أنهم نادوا آريوس مراراً وطالبوه

بتوضيح معتقده بكل صراحة، كما أنهم استمعوا لأتباعه والمقتنعين برأيه والذين كان أشهرهم يوسابيوس النيقوميدى الذى حاول أن يخفى نفسه متظاهراً بالموافقة على اعتقاد الأساقفة المستقيمى الرأى.

ومنذ أن أفتتح المجمع جلساته يوم ٢٠ مايو سنة ٣٢٥م بحضور الامبراطور قسطنطين الكبير، استمرت المداولات المستفيضة فى جلسات كثيرة ثبت فيها لآباء المجمع مدى إنحراف المبتدعين وتحايلهم على الألفاظ، فقرروا حرمهم ووضع دستور للإيمان يتضمن العقائد الأساسية للمسيحية وكل ما يختص بالاعتقاد فى ألوهية الرب يسوع.

وكانت اللغة اليونانية هى لغة التفاهم فى المجمع، وحرص الآباء المجتمعون فى نيقية على أن تكون تعبيراتهم بواسطتها واضحة لا تحتمل التأويل، خاصة وأن هذه اللغة تتميز بكثرة الألفاظ المتشابهة مع تباين المعنى. وقد حاول آريوس بالفعل أن يستغل هذا التشابه اللفظى مستعملاً كلمة «هوميؤسيوس» فى التعبير عن طبيعة المسيح أنه من جوهر مشابه لجوهر الآب، فتصدى له أثناسيوس الذى اكتشف خبثه، وأصر على استخدام لفظة «هوموؤسيوس» التى تعنى أن المسيح هو من نفس جوهر الآب.

وليس الاختلاف بين الكلمتين إلا فى حرف واحد وهو زيادة حرف اليوتا فى الكلمة الأولى (واحد أو مساوى ομοουσιου ومشابه ομοιουσιου) ولكن مضمونها يحمل إنكاراً للاهوت المسيح ونقضاً لعقيدة الثالوث من أساسها! وهكذا استبان ضلال آريوس وخداعه! وبالرغم من أن هذه الكلمة «هوموؤسيوس» غير واردة فى الكتاب المقدس بنصها، إلا أنها واردة بمفهومها مئات المرات «أنا والآب واحد» (يو١٠:٣٠)، «أنا فى الآب والآب فىّ» (يو١٤:١٠)، «منْ رآنى فقد رأى الآب» (يو١٤:٩). وقد إضطر الآباء إلى استخدامها لتوضيح العلاقة الجوهرية بين الآب والابن ولإزالة كل غموض من الأذهان.

وانتدب المجمع لوضع هذا الدستور الإيمانى ثلاثة من الأعضاء: البابا ألكسندروس وشماسه أثناسيوس، وليونتيوس أسقف قيصرية الكبادوك. فوضعوا قانون الإيمان الذى تعتبره جميع كنائس العالم دستوراً لإيمانها.

وكان أثناسيوس من أكثر الذين واجهوا آريوس وكشفوا خداعه فى قوله «مشابهة» الابن للآب بدلاً من «مساواته فى الجوهر للآب»، ولذلك تمسك مع بقية أباء المجمع بتعبير «مساو للآب فى الجوهر»، ليس لمجرد التمسك الحرفى بعقائد إيماننا، ولكن لخطورة ما يترتب على أى من التعبيرين من نتائج حاسمة فيما يتعلق بخلاصنا، إذ أن الذى مات عنا على الصليب لو كان «مشابهاً» فقط للآب، لكان مجرد مخلوق ولما أمكنه أن يخلص البشرية كلها محققاً لها الشركة فى الطبيعة الإلهية.

هذا وقد ذُيل هذا الدستور الإيمانى بالحرم الآتى نصه: «إن جميع الذين يقولون عن الابن أنه جاء عليه حين من الدهر لم يكن موجوداً، أو أنه لم يكن له أثر فى الوجود قبل أن يُولد، أو أنه وُلد من العدم أو أنه من غير جوهر الآب، أو أنه مخلوق ومعرض للتحول والتبدل، فالكنيسة الجامعة الرسولية المقدسة تعلن وقوعهم تحت طائلة الحرم».

وبذلك اعتبرت الكنيسة أن مجمع نيقية هو الثانى والمساوى لمجمع أورشليم (أع١٥) وقد سماه القديس أثناسيوس الرسولى «وثيقة حقيقية وشهادة للنصرة فوق كل هرطقة»، كما سماه القديس إيسيذروس المصرى: «المجمع النيقاوى هو تعبير عن إلهام الله فى الكنيسة».

فكما ان الكنيسة القبطية سباقة ورائدة دائماً ، هكذا كان ذلك كذلك فى قيادة جلسات مجمع نيقية عندما أملت نص اول قانون للايمان على كل كنائس الدنيا ، لتشهد بما تسلمته حسب وصية الله على لسان اثناسيوس الرسولى الذى كان اعظم المرافقين للأساقفة «بحسب تعبير اغريغوريوس النزينزى».

فبالروح اللاهوتية الواعية رافق اثناسيوس معلمه البابا الكسندروس مبحراً الى نيقية للدفاع ضد آريوس على يقين الايمان بالفادى الذى أحبه ، وكان وقتئذ فى التاسعة و العشرين من عمره ، آخذاً على عاتقه حفظ وديعة الايمان كغاية حياته مؤسساً الاعتراف الذى رُسم فى نقية داحضاً ما استحدثه آريوس و اتباعه، معلما الشعب أن لا يلتفت الى الأرواح المضلة.

لم يكن القديس اثناسيوس مجرد بطل لمجمع نيقية بل صار الدفاع عن الايمان ضد الاريوسية قصة حياته كلها ، يهيب بالجميع فى كل مكان من الذين وضع تحت ايديهم الاعتراف الذى تحدد بواسطة اباء نيقية لكى يدافعوا عنه بأعظم غيرة وثقة فى الرب، فصار اثناسيوس هو المركز الذى كانت تدور حوله الكنيسة و اللاهوت فى العصر النيقاوى ولهذا لُقب بالكبير ، ودُعى فيما بعد «أبو الارثوذكسية»، حتى أن اصطلاح نيقية واسم اثناسيوس أصبحا فى التاريخ قيمتين متعادلتين.

وعندما أتت سنه٣٣٠ صار أثناسيوس الشخصية الذائعة الصيت فى الكنيسة بعد أن شارك البابا الكسندروس وحثه قبل انعقاد مجمع نيقية على عدم قبول عودة آريوس ثم دافع عن عقيدة وحدة الجوهر ودحض الآريوسية على مدى نصف قرن لهذا دعى قيثارة رسولية ومنبر أعظم وحجر الزاوية فى كنيسة الله، وذاع عنه القول: «إذا قابلت جملة لأثناسيوس ولم يكن لديك ورقه فأكتبها حالاً على ثوبك»كصورة توضح مدى التهافت على سماع اقواله وتعليمه وكصخرة لم تقو عليها ابواب الجحيم.

فلولا القديس اثناسيوس لصار العالم كله اريوسياً ، اذ يلزم أن نعرف أن قبله لم يكن التعليم الارثوذكسى كقانون متكامل معروفاً ، فنحن نعلم أن البابا الكسندروس تنيح بعد خمسة شهور فقط من ختام جلسات مجمع نيقية حيث استمر بالفعل الجهاد الطويل الممزوج بالألم والعذاب والنفى والتشنيع الذى تحمله أثناسيوس فى سبيل الشهادة للايمان الحق .

إننى أحسب نفسى فرحاً لنوال بركة اسم القديس اثناسيوس الرسولى ، لذا اقدم ضمن سلسلة آباء الكنيسة «**اخثوس** IXΘYΣ » نص كتابه «**الدفاع عن مجمع نيقية**». تلك الرسالة الجزيلة الأهمية باعتبارها الأثر الوحيد المتبقى من أيام مجمع نيقية والذى يحمل لنا صورة لما جرى داخل المجمع من شاهد عيان، كما وتحتوى الرسالة على اقتباسات لاهوتية ذات اهمية تاريخية من آباء الاسكندرية السابقين لأثناسيوس مثل البابا ديونيسيوس الكبير.....

وسنجد فى هذه الدراسة غيره البابا اثناسيوس النارية وشغفه بالكتاب المقدس وتوقيره المطلق لسلطانه، وكيف أنه كاتب متعلم من ملكوت السموات يربط بين العقيدة والتقوى ويستشف الجانب الروحى من كل عقيدة حتى انه ربط قضية الاوموؤسيوس ربطاً وثيقاً بالعبادة والتوبة والوقار.

لقد صار أثناسيوس معيار الارثوذكسية الحى، وظلت شخصيته حتى بعد موته، وهو بالحق لم يمت، بحسب مدلول اسمه الخالد وأعمال سيرته وستبقى شخصيته الروحية الدفاعية تستقطب قلوب الكثيرين من الشرق والغرب على مدى الأجيال، حتى أُعتبر شعاراً حياً لإيمان كنيسة المسيح الواحدة وصارت الارثوذكسية الجامعة متجسدة فى شخصه.

فطوبى له لأن كل من مدحه امتدح الفضيلة وطوبى له لانه استؤمن على الرئاسة العليا للكنيسة بل للعالم كله، وطوبى له لأنه السيف الذى قطع جذور الشر الهرطوقية وقاد الكنيسة إلى ميناء الخلاص .

إن الكلام عن اثناسيوس لهو عمل اكبر مما تحتمله هذه الصفحات إذ أنه تاريخ كنسى أكثر منه مديح وتطويب، لكننا نقدم كتابه «**الدفاع عن مجمع نيقية**» ليكون لنا زاداً لاهوتياً على طريق الخدمة المقدسة.

نقدمه بمناسبة رفع جسده الطاهر وإيداع رفاته بالكاتدرائية المرقسية بالقاهرة، وبمناسبة أول رسامة بطريرك لأرتيريا منذ قيام البابا اثناسيوس الرسولى برسامة أنبا

سلامه بطريركاً وتأسيس كنيسة رسمية فى هذه الديار المباركة . تلك الأعمال الجليلة التى صنعتها يدى **البابا شنودة الثالث** خليفه البابا اثناسيوس.

تلك الأعمال التى أعادت مجد كنيسة الاسكندرية فى كونها أم كنائس العالم فيكون أسقفها أسقف كنائس العالم وليكون رأس كنيسة الاسكندرية هو رأس العالم: **البابا شنودة الثالث** أثناسيوس هذا الجيل .

إننى أهدى هذا العمل إلى روح **البابا أثناسيوس الرسولى** المتهللة فى السماء ونهديه إلى ابينا **البابا شنودة الثالث** خليفته، طالباً بركتهما وصلواتهما مع طلبى للحل والبركة من أفواه الأباء الـ ٣١٨ المجتمعين فى نيقية.

ذاكراً محبة وتشجيع أبينا الحبر الجليل **الأنبا انطونى** أسقفنا المحبوب، وكذا خدمة وتعب الخادم الامين **شريف جيد** الذى قام بأعمال الترجمة وكل من شارك فى صدور هذا العمل من ابناء كنيسة السيده العذراء والشهيدة دميانة بدبلن بأيرلندا.

وللثالوث القدوس المجد والكرامة إلى الابد آمين.

القس أثناسيوس چورچ

Dublin - Ireland

عيد النيروز ١٧١٥

١١ سبتمبر ١٩٩٨



تمهيد

لابد أن هذه الرسالة قد كتبت فى الفترة ما بين عودة القديس أثناسيوس عام ٣٤٦ م وهروبه عام ٣٥٦م، إذ كان أكاكيوس بالفعل أسقفاً لقيصرية (٣٣٩م)، وكذلك لا يذكر يوسابيوس آسقف نيقوميدية هنا كأنه لا يزال على قيد الحياة (توفى عام ٣٢٤م)، بالإضافة الى ذلك فإن لغة الرسالة تشير الى فترة السلام الفعلى فى الكنيسة لكن مع توقع تكرار أحداث عام ٣٣٩م، وقد حدث هذا بالفعل عام ٣٥٦م، وبالتالى ينبغى أن نعتبر أن هذا البحث قد كتب أثناء حكم قنسطانطيوس *Constantius* ما بين عام ٣٥١ ونهاية عام ٣٥٥م.

وقد كتب القديس أثناسيوس الرسولى هذه الرسالة إستجابة لصديق له كان يتجادل مع الآريوسيين فواجهوه باعتراضهم علي استخدام مصطلحات لم ترد فى الكتاب المقدس فى قانون إيمان نيقية، ومن ثم طلب هذا الصديق من القديس أثناسيوس بعض الوصف لأعمال المجمع.

ويبدأ أثناسيوس إجابته بوصف مراوغة الآريوسيين وتناقضهم وسلوكهم فى المجمع، وكيف أنهم فى نهاية الأمر قبلوا المصطلحات التى يعترضون عليها الآن ووافقوا عليها (١-٥).

ثم يبدأ فى بحث ومناقشة معنى البنوية الإلهية (٦-١٤) وكيف أن معناها الحقيقى يتضح من خلال ألقاب الابن الأخرى (١٥-١٧).

أما فيما يخص المصطلحات غير الكتابية المستخدمة فى قانون الإيمان النيقاوى، فيوضح القديس أثناسيوس كيف أن مراوغة الآريوسيين هى التى اضطرت المجمع الى استخدام هذه المصطلحات (١٨-٢٠) وكيف أن هذه

المصطلحات والتعبيرات لا تقدم أى معنى غريب عن الكتاب المقدس أو ليس موجود فيه (٢١-٢٤)، بل ولقد كانت هذه المصطلحات مستخدمة بالفعل فى الكنيسة حتى قبل مجمع نيقية، كما يتضح من الاستشهادات التى يسردها حامى الإيمان من كتابات ثيؤغنسطس وديونيسيوس السكندرى وسميه الرومانى وأوريجانوس (٢٥-٢٧).

وأخيراً (٢٨-٣٢) يناقش تعبير «غير مبتدئ αγενητοσ» الذى استخدمه الآريوسيون وبخاصة استريوس *Asterius* فى الحديث عن الله الآب فى مقابل الخليقة، معتبرين أن الابن يُفهم فى هذا الإطار أنه مخلوق.

وأخيراً يُلحق القديس أثناسيوس، إثباتاً لما ذكره بالفعل فى الفصل الثالث، رسالة يوسابيوس إلى شعب قيصرية والتى تتضمن قانون إيمان مجمع نيقية، ولكنها لم تُترجم هنا.

وترجع أهمية هذه الرسالة إلى أسباب ثلاث:

١) بسبب روايتها لما جرى فى مجمع نيقية، وهى بذلك إحدى المصادر الأولية القليلة لمعرفتنا بما حدث هناك.

٢) بسبب استشهادها بكُتاب أولين مثل ثيؤغنسطس وأوريجانوس وخاصة ديونيسيوس السكندرى وديونيسيوس الرومانى.

٣) تعبير «غير مبتدئ αγενητοσ» يتطلب الاهتمام والبحث، ومن الصعب أن نقدم ترجمة قوية لكامل معناه بالعربية أو الإنجليزية الاصطلاحية، فمعنى هذه الكلمة الدقيق والأقرب للمعنى اليونانى هو «ذاك الذى لا (أو لم) يبدأ» «ذاك الذى ليس نتيجة لأية عملية».



دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية

الفصل الأول

مقدمة

اعتراض الآريوسيين علي مجمع نيقية؛ موقف الآريوسيين المتقلب؛ هم مثل اليهود؛ استخدامهم للقوة بدلاً من العقل.

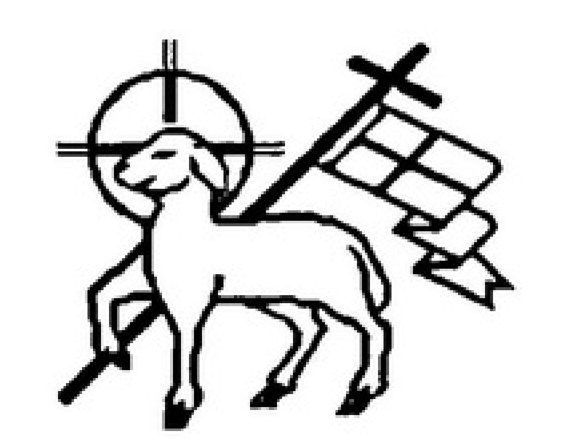
١) لقد فعلت حسناً بأن أخبرتنى بالمناقشة التى حدثت بينك وبين مؤيدى الآريوسية – الذين بينهم بعض من أصدقاء يوسابيوس – وبين كثير جداً من الإخوة الذين يتمسكون بعقيدة الكنيسة، وأنا أمتدح يقظتك وحرصك على محبة المسيح التى كشفت وفضحت ببراعة فائقة مروق هرطقتهم، بينما أتعجب من الوقاحة التى جعلت الآريوسيين – بعد الكشف السابق عن فساد وعبث حججهم، ليس هذا فحسب بل وبعد الإدانة العامة لضلالهم التام – لا يزالون يعترضون مثل اليهود «لماذا استخدم الاباء فى نيقية تعبيرات لم ترد فى الكتاب المقدس مثل <<من جوهر>> و<<مساو فى الجوهر>>؟» أنت كإنسان متعلم، بالرغم من كل حيلهم، قد أدنتهم بأنهم يتحدثون عبثاً، وهم فى إبتكار هذه الحيل إنما يتصرفون حسبما يناسب نزعتهم الشريرة. فهم متغيرون ومتقلبون فى آرائهم مثل الحرباء فى ألوانها، وعندما يفضحون يبدون مرتبكين ومتحيرين، وعندما يُسألون يترددون، وعندئذ يفقدون حيائهم ويلجأون إلى المراوغة، وعندما يُفضحون فى هذه، لا يهدأون حتى يخترعوا أموراً جديدة غير حقيقية، وبحسب الكتاب المقدس «يفكرون فى الباطل» (مز٢: ١) وفى كل الأمور التى يمكن أن

تتفق مع فجورهم. إن هذه المحاولات ليست إلا دليلاً على خلل عقولهم، وهى نسخة – كما سبقت وقلت – من العداوة اليهودية الخبيثة. لأن اليهود ايضاً عندما يدينهم الحق ويعجزون عن مواجهته، يستخدمون الحيل مثل «أية آية تصنع لنرى ونؤمن بك، ماذا تفعل؟» (يو ٦: ٣٠)، ورغم أن آيات كثيرة قد أُعطيت حتى أنهم قالوا هم أنفسهم «ماذا نصنع؟ هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة» (يو١١: ٤٧) وحقاً الموتى أُقيموا، العرج مشوا، العميان أبصروا من جديد، البرص تطهروا، والماء صار خمراً والخمس خبزات أشبعت خمسة آلاف، وكلهم بُهتوا وسجدوا للرب، معترفين أن فيه تحققت النبوات، وأنه الله وابن الله، كلهم ما عدا الفريسيين الذين بالرغم من أن الآيات أشرقت أبهى من الشمس إلا أنهم استمروا يعترضون كجهلة «لماذا وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً» (يو١٠: ٣٣).

إنهم عديمى الحس وعميان حقاً فى الفهم! كان يجب عليهم – على العكس من ذلك – أن يقولوا «لماذا وأنت إلهاً تجعل نفسك إنساناً». لأن أعماله أثبتت أنه الله، حتى يعبدوا صلاح الآب، وكذلك يمتدحوا تدبير الابن من أجلنا. على أية حال، لم يقولوا هذا، كلا، ولا أرادوا أن يشهدوا لما كان يفعله، أو قد شهدوا فعلاً، لأنهم لم يستطيعوا ألا يشهدوا، لكنهم غيروا مرة ثانية سبب اعتراضهم «لماذا تشفى المفلوج، لماذا تجعل المولود أعمى يبصر فى يوم سبت؟» لكن هذا ايضاً كان عذراً ومجرد دمدمة، إذ فى أيام أخرى ايضاً شفى الرب «كل مرض وكل ضعف» (مت٤: ٢٣) إلا أنهم اعترضوا مرة أخرى كعادتهم، وإذ دعوه بلعزبول، فضلوا شك الإلحاد على الرجوع عن شرهم. ورغم أنه فى مرات عديدة وبطرق متنوعة أظهر المخلص لاهوته وكرز بالآب لسائر الناس، إلا أنهم مع ذلك، كأنهم يرفسون مناخس، أنكروا بأسلوب الحماقة، وهذا فعلوه، بحسب المثل الإلهى، حتى عندما يجدون فرصاً، يفصلون أنفسهم عن الحق.

٢) وكما أن يهود ذلك الوقت، بسبب سلوكهم الشرير هذا وإنكارهم للرب، قد حُرموا بعدل من نواميسهم ومن الوعد الذى أُعطى لآبائهم، كذلك

الآريوسيون المهوّدون الآن، هم – فى تقديرى –فى أحوال شبيهة بظروف قيافا والفريسيين المعاصرين له، فإذ يعرفون أن بدعتهم غير معقولة على الإطلاق، يخترعون الأعذار قائلين «لماذا كتب المجمع هذا وليس ذلك؟». بيد أنه يجب ألا تتعجب إذا كانوا الآن يسلكون هكذا، إذ بعد وقت ليس بالطويل سيعودون إلى هجومهم ثم سيهددون «الجند والقائد» (يو١٨:١٢)، حقاً فى هؤلاء يكون لبدعتهم دعم ومعونة. وإذ أنا واع بذلك، لم أكن لأجيب على تساؤلاتهم، لكن إذ قد طلبتْ صداقتك أن تعرف ما حدث فى المجمع، لذلك قمت على الفور دونما أى تأخير بسرد ما حدث أنئذاك، موضحاً بكلمات قليلة، كيف أن الأريوسية خالية تماماً من أى روح تقية، وكيف أن عملهم الوحيد هو اختراع الحيل والأعذار.



الفصل الثانى

موقف الاريوسيين تجاه مجمع نيقية

إنهم جهلة وعديمى التقوى إذ يحاولون أن يخالفوا مجمعاً مسكونياً؛ ما حدث فى نيقية؛ يوسابيوس وقع عندئذ على ما يعترضون عليه الآن؛ عن إجماع المعلمين الحقيقين وعملية التقليد؛ تغيرات وتقلبات الآريوسيين.

ولتدرس أنت أيها المحبوب ما إذا كان الأمر غير ذلك. إن كانوا – بعد أن بذر الشيطان قلوبهم بهذا الضلال – يشعرون بثقة فى إختراعاتهم الشريرة، فليدافعوا عن أنفسهم ضد براهين الهرطقة التى قد قُدمت، وعندئذ سيحين الوقت ليجدوا خطأ – إن استطاعوا – فى تعريف الإيمان الذى صيغ ضدهم. إذ ليس هناك أحد، بعد أن يُدان بالقتل أو الزنا، يكون حراً بعد المحاكمة فى أن يناقش أو يجادل القاضى، متسائلاً لماذا تكلم بهذه الطريقة وليس بتلك، لأن ذلك لن يبرئ الشخص المُدان بل بالأحرى يزيد من جرمه من جهة الفظاظة والوقاحة. وبالمثل لندع هؤلاء إما أن يثبتوا أن آرائهم تقية (لأنهم فى ذلك الوقت اُتهموا وأُدينوا وجاءت اعتراضاتهم بعد ذلك، ومن العدل أن يأخذ هؤلاء الذين يُتهمون على عاتقهم الدفاع عن أنفسهم) وإما إذا كان لهم ضمير نجس، وهم واعون بفجورهم، فعندئذ يجب ألا يعترضوا على ما لا يفهمونه، وإلا جلبوا على أنفسهم تهمة مزدوجة، أى الجهل والفجور. وليفحصوا بالأحرى الأمر بروح من يرغب فى التعلم، ويتعلموا ما لم يعرفوه حتى الآن، ويطهروا آذانهم عديمة التقوى بنبع الحق وعقائد الدين.

٣) إن ما حدث ليوسابيوس ورفقائه فى مجمع نيقية كان كما يلى:

عندما قاوموا بعناد فى مروقهم وحاولوا أن يحاربوا ضد الله، كانت التعبيرات التى استخدموها مليئة بالفجور، إلا أن الأساقفة المجتمعين، والذين كانوا نحو ثلاثمائة، طلبوا منهم بلطف ومحبة أن يشرحوا ويدافعوا عن أنفسهم على أسس تقية، وبصعوبة بدأوا يتكلمون، وعندئذ اختلف الواحد منهم عن الآخر، وإذ أدركوا ساعتها الشدة والضيقة التى وقعت فيها بدعتهم، ظلوا خرسى، وبسكوتهم اعترفوا بالعار والخزى الذى حل على هرطقتهم. وبناء على ذلك، فإن الأساقفة، بعد أن رفضوا التعبيرات التى كانوا قد اخترعوها (أى الأريوسيين) أعلنوا الإيمان الصحيح والكنسى ضدهم، وإذ أقره الجميع، أقره يوسابيوس وأتباعه بهذه الكلمات عينها، والتى عليها يعترضون الآن، أعنى «من جوهر» و«مساو فى الجوهر» وأن «ابن الله ليس خلقة أو صنعة ولا هو ضمن الأشياء المبتدئة، بل أن الكلمة هو مولود من جوهر الآب».

والأمر الغريب حقاً هو أن يوسابيوس أسقف قيصرية فلسطين، الذى رفض فى اليوم السابق، ثم أقر بعد ذلك (تعريف إيمان نيقية)، أرسل إلى كنيسته رسالة يقول فيها أن هذا هو إيمان الكنيسة وتقليد الاباء، وجاهر برأيه علانية قائلاً كانوا قبلاً مخطئين وكانوا يقاتلون بتهور ضد الحق. فرغم أنه كان خجلاً فى ذلك الوقت أن يتمسك بهذه التعبيرات، واعتذر عن نفسه للكنيسة بطريقته الخاصة، إلا أنه بالتأكيد كان يقصد أن يُضمِّن كل هذا فى رسالته، وذلك بعدم رفضه لـ «مساو فى الجوهر» و«من جوهر». وبهذه الطريقة صار فى مأزق، إذ بينما كان يقدم الأعذار عن نفسه، مضى قدماً ليهاجم الأريوسيين فى قولهم بأن «الابن لم يكن موجوداً قبل ميلاده» رافضين بذلك الاعتراف بوجوده قبل ميلاده فى الجسد. وأكاكيوس واع ومدرك لذلك ايضاً، رغم أنه هو ايضاً بسبب الخوف، ربما يدعى غير ذلك بسبب الظروف الحادثة وينكر الحقيقة. ومن ثم فقد ألحقتُ بهذه الرسالة رسالة يوسابيوس لكى تعرف منها مدى الإزدراء الذى يظهره أعداء

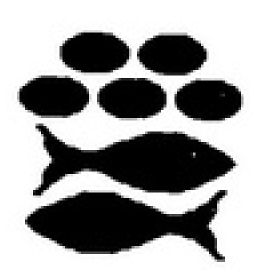
المسيح تجاه معلميهم هم أنفسهم، وبالأخص الذى يظهره أكاكيوس.

٤) ألا يرتكبون إذاً جريمة فى تفكيرهم ذاته بأن يقاوموا مجمعاً عظيماً جداً ومسكونياً؟ أليسوا فى تعدى عندما يجرأون على أن يتحدوا تعريف الإيمان الجيد هذا ضد الأريوسية، والذى أقره ـ كما هو الحال ـ هؤلاء الذين فى البداية علموهم الفجور وعدم التقوى؟ وإذا افترضنا، حتى بعد قبولهم (لتعريف الإيمان) أن يوسابيوس وأتباعه تغيروا ثانية وعادوا مثل الكلاب الى قئ مروقهم، ألا يكون المقاومون الحاليون ما يزالوا مستحقين لمقت أكثر لأنهم يضحون هكذا بحرية نفوسهم الى أخرين، ويقبلون أن يتخذوا من هؤلاء الأشخاص قادة لبدعتهم، هم الذين كما قال يعقوب «ذوى رأيين متقلقلين فى جميع طرقهم» (يع ١: ٨)، ليس لهم رأى واحد، يتغيرون على الدوام. والآن يفضلون تعبيرات معينة، لكن سرعان ما يهينونها، وفى المقابل يفضلون ما كانوا يلومونه الآن تواً؟ لكن هذا كما قال الراعى (هرماس) هو «ابن الشيطان» وسمة الباعة المتجولين وليس المعلمين اللاهوتيين. لأن ما سلمه أباؤنا هو عقيدة حقيقية، وهذه هى سمة المعلمين اللاهوتيين، أن يعترفوا بنفس الأمر كل واحد مع الآخر، وأن لا يختلفوا لا عن بعضهم البعض ولا عن أبائهم. أما هؤلاء الذين ليس لهم هذه السمة فيجب ألا يُدعوا معلمين لاهوتيين حقيقيين بل أشرار. وهكذا فإن اليونانيين، إذ لا يشهدون لنفس العقائد بل يتشاجرون الواحد منهم مع الآخر، ليس لتعليمهم أية صحة، أما معلمى الحق القديسين والحقيقيين فيتفقون معاً ولا يختلفون، فبالرغم من أنهم عاشوا فى أزمنة مختلفة، إلا أنهم جميعاً يتبعون نفس الطريق، لكونهم أنبياء لإله واحد ويبشرون بنفس الكلمة فى هارمونية وإتفاق.

٥) وهكذا ما علمه موسى هذا حفظه ابراهيم، وما حفظه ابراهيم هذا أقره نوح وأخنوخ، مميزين الطاهر من النجس، صائرين مقبولين لدى الله. لأن هابيل ايضاً شهد بهذه الطريقة، عارفاً ما قد تعلمه من آدم الذى كان قد تعلمه من الرب الذى قال عندما أتى فى ملء الزمان لإبطال الخطية «لست أكتب إليكم

وصية جديدة بل وصية قديمة كانت عندكم من البدء» (١يو٢:٧). لذلك ايضاً فإن الرسول المبارك بولس ـ الذى تعلمها منه ـ عندما يصف الرتب الكنسية، منع الشمامسة ـ وكم بالأحرى الأساقفة ـ من أن يكونوا ذوى لسانين (١تيم ٣:٨). وفى توبيخه لأهل غلاطية، أدلى بتصريح مستفيض: «إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما، كما سبقنا فقلنا الآن ايضاً إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما» (غلا١ :٨-٩). وطالما أن الرسول يتحدث هكذا، فلتدع هؤلاء الناس إما أن يحرموا يوسابيوس وأتباعه، لأنهم على الأقل متقلبين فى أرائهم ويجاهرون بإيمان مخالف لما قد أقروه، وإما إذا اعترفوا بأن إقرارات يوسابيوس وأتباعه كانت صحيحة، لا ينطقون بأية اعتراضات على مجمع عظيم كهذا. لكن إذا لم يفعلوا أياً من هذا، سيكون من الواضح تماماً أنهم هم أنفسهم ألعوبة كل ريح وموج، ويتأثرون بالآراء، ليس آرائهم هم أنفسهم بل آراء الأخرين. وإذ هم كذلك، لا يستحقون أى اهتمام — الآن كما قبلاً — بما يزعمون، بل بالأحرى دعهم يكفوا عن انتقاد ما لا يفهمونه، لئلا — لكونهم لا يعرفون أن يميزوا — يدعون ببساطة الشر خيراً والخير شراً، ويظنون أن المر حلو والحلو مر. وبلا شك هم يتمنون أن تسود العقائد التى حُكم عليها أنها خاطئة وشُجبت، وهم يبذلون جهوداً كبيرة ليقاوموا ما قد عُرف تعريفاً صحيحاً. وكذلك لا يجب أن يكون هناك أى سبب من جانبنا لأى توضيح أكثر أو إجابة لأعذارهم، ولا من جانبهم لأى مقاومة أكثر، بل يجب أن يكون هناك سبب لقبول ما قد قبله وأقره قادة هرطقتهم. إذ رغم أن التغير اللاحق من جانب يوسابيوس وأتباعه كان مريباً وغير أخلاقى، إلا أن قبولهم وإقرارهم (للإيمان المستقيم) عندما أُتيحت لهم فرصة — على الأقل — لبعض الدفاع القليل عن أنفسهم، لهو دليل قاطع على مروق عقيدتهم. فهم لم يكونوا ليوافقوا قبلاً ما لم يكونوا قد أدانوا الهرطقة، ولم يكونوا ليدينونها لو لم يكونوا محاطين بالمشقة والخزى. ولذلك فإن تغيرهم ثانية ورجوعهم إلى ما كانوا عليه لهو دليل على حماسهم المشاكس للفجور وعدم التقوى. لذا يجب على هؤلاء الناس —

كما أسلفتُ — أن يلزموا الصمت، لكن طالما أنهم بسبب افتقارهم الشديد للإتضاع، يأملون أن يستطيعوا الدفاع عن هذا المروق الشيطانى أفضل من الأخرين، لذلك رغم أننى فى رسالتى السابقة إليك كتبت بإستفاضة ضدهم، فمع ذلك، تعال ودعنا الآن ايضاً نفحصهم فى تعبيراتهم كل على حدة، كمثل سابقيهم، لأن الآن ستُظهر هرطقتهم أنها خالية من الصحة بدرجة ليست أقل مما كانت فى الرسالة السابقة بل سيتضح أنها من الأرواح الشريرة.



الفصل الثالث

معنيان لكلمة ابن:

١) معنى التبنى

٢) معنى جوهرى.

محاولات الأريوسيين لإيجاد معنى ثالث بين هذين مثل: أن ربنا وحده خُلق بيد الله مباشرة (نظرية استريوس) أو أن ربنا وحده يشترك مع الآب. المعنى الثانى والصادق؛ الله يلد كما يخلق بالرغم من أن خلقته وولادته ليسا مثل هذين اللذين للإنسان؛ ولادته خارج الزمن؛ الولادة تتضمن فعل داخلى – وبالتالى أزلى – فى الله؛ تفسير أمثال ٨:٢٢.

٦) إنهم يقولون ما زعمه الأخرون وجرأوا على أن يتمسكوا به قبلهم: «ليس دوماً آب، ليس دوماً ابن، لأن الابن لم يكن قبل ميلاده، لكنه – مثل أخرين – جاء إلى الوجود من العدم، وبالتالى الله لم يكن دوماً آب للابن، بل عندما جاء الابن للوجود وخُلق، عندئذ دُعى الله أباه، لأن الكلمة هو مخلوق وصنعة، غريب ومغاير للآب فى الجوهر. والابن ليس بالطبيعة كلمة الآب الحقيقى ولا حكمته الوحيد والحقيقى، بل إذ هو مخلوق وواحد من صنائعه، دُعى خطأً كلمة وحكمة، إذ قد خُلق بالكلمة التى فى الله كما هو الحال مع سائر الأشياء، لذلك فإن الابن ليس إله حقيقى».

ربما يفهمون ما يقولون إن سألناهم أولاً: ما هو فى الواقع الابن، وما معنى هذا الاسم؟ فى الحقيقة يخبرنا الكتاب الإلهى عن معنى مزدوج لهذه الكلمة:

واحد يضعه موسى أمامنا فى الناموس «إذا سمعت لصوت الرب إلهك لتحفظ جميع وصاياه التى أنا أوصيك بها اليوم لتعمل الحق فى عينى الرب إلهك. أنتم أولاد للرب إلهكم» (تث٧:١٨، ١٤:١) كما يقول يوحنا ايضاً فى الإنجيل: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو١:١٢). أما المعنى الآخر فهو ذلك الذى به اسحق ابن لابراهيم ويعقوب لاسحق، والبطاركة ليعقوب. فبأى من هذين يفهمون ابن الله حتى يقولون مثل هذه الخرافات السالفة الذكر عاليه؟ لأننى واثق أنهم سينتهون الى نفس الفجور مع يوسابيوس وأتباعه.

إذا كانوا يفهمون ابن الله بالمعنى الأول، والذى يخص هؤلاء الذين نالوا الاسم بالنعمة بسبب تحسن أخلاقى، ونالوا سلطاناً أن يصيروا أولاد الله (لأن ذلك ما قاله سابقوهم)، إذاً يبدو أنه لن يختلف عنا فى أى شئ، كلا، ولن يكون وحيد الجنس لأنه أخذ لقب «ابن» مثل أخرين بسبب فضيلته. فإذا افترضنا ما يقولون أى أنه، لأن صفاته كانت معروفة مسبقاً، لذلك نال نعمة من البداية، أى الاسم ومجد الاسم، من بدايته الأولى عينها، فمع ذلك لن يكون هناك أى فرق بينه وبين هؤلاء الذين نالوا الاسم (ابن) بعد أعمالهم (أى بعد أن قاموا بأعمال صالحة)، طالما أن هذا هو الأساس الذى بناء عليه له هو – كما الأخرين – صفة الابن. لأن آدم ايضاً، رغم أنه نال نعمة منذ البداية، وفور خلقته وُضع فى الجنة، إلا أنه لم يختلف شيئاً عن أخنوخ الذى أُختطف الى هناك بعد بعض الوقت من ميلاده لكونه مرضياً لله، ولا عن الرسول الذى بالمثل أُختطف الى الفردوس بسبب أعماله، ليس هذا فحسب بل ولا حتى عن ذاك الذى كان قبلاً لصاً، والذى بسبب اعترافه نال الوعد بأنه سيكون على الفور فى الفردوس.

٧) وعندما يُضغط عليهم هكذا، ربما سيقدمون إجابة كانت قد جلبت عليهم متاعب مرات عديدة بالفعل، ألا وهى: «نحن نعتبر أن الابن له هذا الامتياز عن الأخرين، ولذلك دُعى وحيد الجنس، لأنه الوحيد الذى أوجده الله

وحده، بينما كل الأشياء الأخرى خلقها الله بالابن». إننى أتعجب متسائلاً عمنْ هو ذاك الذى اقترح عليهم مثل هذه الفكرة العقيمة والغريبة أن الآب وحده خلق بيده هو الابن فقط، وأن جميع الأشياء الأخرى قد أُوجدت بالابن كأداة. إن القول بأن الله، تجنباً منه للتعب، سُر بأن يخلق الابن فقط بدلاً من أن يخلق كل الأشياء على الفور، لهو فكر مارق عديم التقوى، خاصة عند هؤلاء الذين يعرفون كلمات أشعياء «إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا، ليس عن فهمه فحص» (أش ٤٠: ٢٨) بل أنه هو الذى يعطى قوة للجائع وبكلمته ينعش العامل الكادح. كذلك ايضاً من الفجور أن نفترض أنه ترفع عن أن يخلق بنفسه المخلوقات التى جاءت بعد الابن كما لو كان ذلك عملاً حقيراً، إذ ليس هناك أى كبرياء فى ذلك الإله الذى ينزل مع يعقوب إلى مصر، ولأجل ابراهيم يؤدب أبيمالك بخصوص سارة، ويتكلم وجهاً لوجه مع موسى، وهو نفسه إنسان (أى موسى)، وينزل على جبل سيناء، وبنعمته السرية يقاتل لأجل الشعب ضد عماليق. أنتم مخطئون حتى فى هذا الفكر لأنه «هو صنعنا» (مز١٠٠: ٣). إنه هو الذى بكلمته صنع سائر الأشياء الصغيرة والعظيمة، ويجب ألا نُقسم الخليقة ونقول أن هذه صنعة الآب وتلك صنعة الابن، بل هى (جميعها) صنعة إله واحد يستخدم كلمته كيدٍ، وفيه يعمل جميع الأشياء. وهذا ما يعلنه لنا الله نفسه عندما يقول «وكل هذه صنعتها يدى» (أش ٦٦: ٢)، بينما علمنا بولس كما تعلم هو أن «لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن له» (١كو٨: ٦). وهكذا هو ـ دائماً كما هو الآن ـ يتحدث إلى الشمس فتشرق، ويأمر السحب فتمطر على موضع ما، وحيثما لا تمطر تجف الأرض، وهو يأمر الأرض أن تخرج ثمارها، وصوّر أرميا فى الرحم (أر١: ٥). لكن إذا كان يفعل كل هذه الأشياء، فبالتأكيد لم يترفع فى البداية عن أن يصنع كل هذه الأشياء بنفسه بالكلمة، لأن هذه ليست إلا أجزاء من الكل.

٨) لكن دعنا نفترض أن المخلوقات الأخرى لم تحتمل أن تُخلق باليد المطلقة

التى لغير المبتدئ، ومن ثم فإن الابن فقط هو الذى أوجده الله وحده، أما الأشياء الأخرى فقد خلقها الابن كأداة ومساعد، لأن ذلك ما كتبه أستريوس *Asterius the sacrificer*، ونقله عنه آريوس وأورثه لأصدقائه، ومنذ ذلك الحين وهم يستخدمون هذا النمط من الكلمات، وإذ هو قصبة مكسورة لا يُعتمد عليها، وإذ هم جهلة هؤلاء الناس المرتبكون، لذلك كم هش وسريع الزوال (هو تفكيرهم). لأنه إذا كان يستحيل على الأشياء المبتدئة أن تحتمل يد الله، وأنتم تعتبرون أن الابن فى عداد هذه الأشياء، كيف كان هو مناسباً لأن يحتمل أن يُخلق هذه الخلقة بيد الله وحده؟ وإذا كان لابد من وجود وسيط حتى تأتى الأشياء المبتدأة إلى الوجود، وأنتم تعتبرون أن الابن مبتدئ، إذاً لابد أنه قد كان هناك وسيط قبله لأجل خلقته، وهذا الوسيط نفسه ايضاً مخلوق وبالتالى هو ايضاً احتاج لوسيط آخر لأجل خلقته هو، ورغم أننا يمكن أن نخترع وسيطاً آخر، إلا أننا يجب أولاً أن نخترع وسيطه، وهكذا لن نصل أبداً إلى أية نهاية. وهكذا طالما أن هناك وسيطاً مطلوب دائماً إذاً لن تُخلق الخليقة أبداً، لأنه ليس من شئ مبتدئ ـ حسبما يقولون ـ يستطيع أن يحتمل اليد المطلقة لغير المبتدئ. وإذا بدأتم تقولون ـ عندما تفهمون هذه المغالاة ـ أن الابن، رغم أنه مخلوق، أُعطيت له القدرة على أن يُخلق بيد غير المبتدئ، إذاً ينتج عن ذلك أن أشياء أخرى ايضاً، رغم أنها مبتدأة، لها القدرة على أن تُخلق مباشرة بيد غير المبتدئ، لأن الابن ايضاً ليس أكثر من مجرد مخلوق ـ فى تقديركم ـ مثل باقى الخليقة. وبالتالى فإن خلق الكلمة هو كمالى وغير ضرورى بحسب فجوركم وخيالكم العقيم، إذ أن الله وحده كاف لأن يخلق الأشياء خلق مباشر، وكل الأشياء المبتدأة قادرة على أن تتحمل يده المطلقة.

وطالما أن لهؤلاء الناس عديمى التقوى عقل ضئيل للغاية وسط جنونهم، دعنا نرى ما إذا كانت هذه السفسطة ليست حتى أكثر جنوناً من الأخريات. إن آدم وحده خلقه الله بالكلمة، إذ لا يستطيع أحد أن يقول أن آدم كان له إمتياز عن الناس الأخرين، أو أنه كان مختلفاً عن هؤلاء الذين جاءوا بعده، مفترضاً أنه

الوحيد الذى خلقه الله وحده، ونحن كلنا ذرية آدم، ونُخلق بحسب تسلسل الجنس، طالما أنه جُبل من الأرض مثل الأخرين، وفى البداية لم يكن موجوداً ثم صار موجوداً.

٩) لكن رغم أننا يجب أن نعطى بعض الإمتياز للإنسان الأول إذ كان مستحقاً ليد الله، إلا أنه يجب أن يكون إمتياز كرامة وليس طبيعة، لأنه أتى من الأرض مثل باقى الناس، واليد التى جبلت آدم فى ذلك الزمان هى ايضاً الآن ودوماً تجبل وتعطى وجوداً كاملاً لهؤلاء الذين يأتون بعده. والله نفسه يعلن هذا لأرميا كما قلت قبلاً «قبلما صورتك فى البطن عرفتك» (أر١ :٥) وهكذا يقول عن الكل «كل هذه صنعتها يدى» (أش٦٦:٢) وايضاً بأشعياء «هكذا يقول الرب فاديك وجابلك من البطن، أنا الرب صانع كل شئ ناشر السموات وحدى باسط الأرض» (أش٤٤:٢٤)، وداود إذ يعرف هذا يقول فى المزمور «يداك صنعتانى وأنشأتانى» (مز١١٩:٧٣) وذلك الذى يقول فى أشعياء «قال الرب جابلى من البطن عبداً له» (أش٤٩:٥) يشير إلى الأمر عينه. لذلك فيما يخص الطبيعة لا يختلف (آدم) عنا فى أى شئ رغم أنه يسبقنا فى الزمن، طالما أننا جميعاً خُلقنا بنفس اليد عينها. إذا كانت هذه هى أفكاركم أيها الأريوسيون عن ابن الله، أنه هكذا يوجد وجاء للوجود، إذاً هو فى تقديركم لا يختلف فى شئ من جهة الطبيعة عن الآخرين، طالما أنه هو ايضاً لم يكن موجوداً ثم جاء إلى الوجود، واتحد به الاسم (أى اسم «الابن») بالنعمة عند خلقته لأجل فضيلته، لأنه هو نفسه واحد من هؤلاء ـ حسبما تقولون ـ الذين يقول عنهم الروح فى المزامير «نطق الكلمة فصُنعوا، أمر فخُلقوا» (مز١٤٨:٥. سبعينية). إذا كان الأمر كذلك، فبمنْ أعطى الله الأمر لأجل خلقة الابن؟ لأنه لابد أن يكون هناك كلمة به أعطى الله أمراً، وفيه خُلقت الصنائع، لكنكم ليس لديكم آخر تقدمونه سوى الكلمة الذى تنكرونه، إلا إذا اخترعتم ثانية فكرة جديدة.

سيقولون «نعم لدينا آخر» (وهذا قد سمعته أنا بالفعل من يوسابيوس وأتباعه)

«ففى هذا الصدد نحن نعتبر أن ابن الله له إمتياز عن الآخرين، وهو يُدعى وحيد الجنس لأنه هو الوحيد الذى يشترك مع الآب، وكل الأشياء الأخرى تشترك مع الابن». وهكذا يرهقون أنفسهم فى تغيير وتنويع تعبيراتهم كالألوان. على أية حال، هذا لن ينقذهم من أن يفتضحوا كأناس أرضيين يتكلمون بالباطل ويتمرغون فى أوهامهم وأفكارهم كما فى وحل.

١٠) لأنه لو كان قد دُعى ابن الله ونحن دُعينا أبناء الابن، لكانت قصتهم معقولة ظاهرياً، لكن إذا كنا نحن ايضاً قد دُعينا أبناء ذلك الإله الذى هو ابن له (أى أبناء الله الآب) إذاً نحن ايضاً نشترك مع الآب الذى يقول «ربيت (ولدت) بنين ونشأتهم» (أش١:٢) لأننا لو لم نكن نشترك معه، لم يكن هو ليقول «ولدت»، لكن إذا كان هو نفسه قد ولدنا، إذاً ليس آخر غيره أبونا. وكما هو الحال قبلاً، لا يهم إذا كان للابن شئ أكثر وإذا كان قد خلق أولاً، أو إذا كنا نحن شئ أقل وخُلقنا بعده، طالما أننا كلنا نشترك ودُعينا أبناء لنفس الآب. لأن الأكثر أو الأقل لا يشير إلى طبيعة مختلفة بل يخص كل واحد بحسب ممارسة الفضيلة، وواحد يُقام على عشر مدن، وآخر على خمس، والبعض يجلسون على إثنى عشر عرشاً يدينون أسباط إسرائيل، وآخرون يسمعون الكلمات «تعالوا إلىّ يا مباركى أبى» و«نعماً أيها العبد الصالح والأمين». فمع هذه الأفكار لا عجب أنهم يتخيلون أن هذا الابن لم يكن له الله دوماً أباً، وأن هذا الابن لم يكن موجوداً دوماً، بل جاء من العدم كمخلوق، ولم يكن موجوداً قبل خلقته، لأن هذا الابن مختلف عن ابن الله الحقيقى.

لكن الإصرار على مثل هذا التعليم لا يتفق مع التقوى، لأن ذلك هو بالأحرى نغمة فكر الصدوقيين والسموسطائيين. يبقى أن نقول أن ابن الله دُعى هكذا بمعنى آخر، أى بالمعنى الذى به كان اسحق ابناً لابراهيم، لأن ما وُلد طبيعياً من آخر ولا يُنسب له من خارج، هذا فى طبيعة الأشياء هو ابن، وهذا هو معنى الاسم (ابن). إذاً هل ميلاد الابن هو ميلاد هوى بشرى؟ (إذ ربما مثل

سابقيهم سيكونون هم ايضاً متأهبين ليعترضوا فى جهلهم). كلا البتة. لأن الله ليس مثل الإنسان، ولا البشر مثل الله، فالبشر خلقوا من المادة، وتلك قابلة للتأثر، أما الله فهو غير مادى وغير جسدى. ورغم أن نفس التعبيرات تستخدم فى الحديث عن الله والإنسان فى الأسفار الإلهية، إلا أن ذا البصيرة الجلية، مثلما يوصى بولس – سوف يفحصها ويدرسها، وبذلك يميز ويصنف ما قد كتب بحسب طبيعة كل موضوع ويتجنب أى اختلاط فى المعنى حتى لا نفهم أمور الله بطريقة بشرية، ولا بالمثل ننسب أمور الإنسان الى الله، لأن ذلك معناه أن نخلط الخمر بالماء (أش١:٢٢) وأن نضع على المذبح ناراً غريبة مع النار الإلهية.

١١) لأن الله يخلق، والخلق ينسب ايضاً للإنسان. الله له وجود، وكذلك قيل عن الناس أن لهم وجود، إذ نالوا من الله هذه العطية ايضاً، ومع ذلك هل يخلق الله مثلما يخلق الناس؟ أو هل وجوده مثل وجود الإنسان؟ حاشا. فنحن نفهم التعبيرات بمعنى خاص بالله وبمعنى آخر خاص بالإنسان. لأن الله يخلق بمعنى أنه يدعو غير الوجود ليأتى إلى الوجود، ولا يحتاج لشئ غير ذلك (أى أن يريد ويأمر)، أما الناس فهم يصنّعون بعض المواد الموجودة بالفعل. فى البداية يصلون وهكذا يناولون من الله الذى خلق كل شئ بكلمته هو ذكاء وحكمة ليصنعوا. وايضاً الناس إذ هم غير قادرين على أن يكونوا موجودين بذواتهم، هم محدودون فى مكان محدود، ويوجدون فى كلمة الله، أما الله فموجود بذاته، يحيط بكل الأشياء ويحدها ولا يحده أحد. هو فى الكل بحسب صلاحه وقوته هو، لكن بدون الكل فى طبيعته. وكما أن الناس لا يخلقون مثل الله، وكما أن وجودهم ليس مثل وجود الله، كذلك فإن ميلاد الناس شئ، وميلاد الابن من الآب شئ آخر. لأن أبناء الناس هم أجزاء من آبائهم، لأن طبيعة الأجساد عينها ليست غير مركبة لكنها فى حالة من التغيير، وتتكون من أجزاء، ويفقد الناس جوهرهم فى الولادة ومرة ثانية يكتسبون جوهرهم بتناول الطعام. وبناء على هذا فإن الرجال فى زمانهم يصيرون أباء لأبناء كثيرين، أما الله فإذ هو بدون أجزاء، هو أبو الابن بدون تقسيم أو هوى، لأنه ليس هناك تدفق من غير المادى ولا تغير

من الخارج كما هو الحال بين الناس، وإذ هو غير مركب فى طبيعته، هو أب لابن واحد وحيد. ولذلك هو وحيد الجنس وهو وحده فى حضن الآب، وهو الوحيد الذى يعترف به الآب أنه منه قائلاً «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» (مت٣:١٧) وهو ايضاً كلمة الآب، الأمر الذى به يمكن أن تفهم طبيعة الآب التى لا تتأثر ولا تنقسم، لأنه ليس هناك حتى أية كلمة بشرية تولد بهوى أو تقسيم، فكم أقل جداً يكون الحال مع كلمة الله!! لذلك ايضاً يجلس، ككلمة، عن يمين الآب، إذ حيثما يكون الآب هناك ايضاً يكون كلمته، أما نحن، مخلوقاته، فنقف فى الدينونة أمامه، وبينما هو يعبد، لانه ابن الآب المعبود، نحن نعبد، معترفين أنه رب وإله، لأننا مخلوقات ومختلفين عنه.

١٢) طالما أن الأمر هكذا، فلتدع من يشاء منهم يفحص هذا الأمر ويدرسه، حتى يخجلهم المرء ويخزيهم بالسؤال التالى: هل يصح أن نقول أن المولود من الله والخاص به قد جاء من العدم؟ أو هل هو معقول، فى نفس الإطار، أن ما هو من الله قد نسب له حتى يجرؤ إنسان على أن يقول أن الابن لم يكن دوماً؟ لأن فى ذلك ايضاً يفوق ميلاد الابن أفكار الإنسان ويتنزه عنها. فنحن نصير أباء لأبنائنا فى الوقت المعين، إذ أننا نحن أنفسنا لم نكن موجودين فى البداية ثم جئنا إلى الوجود، أما الله، فإذ هو موجود دوماً، هو دوماً آب للابن. وبداية البشرية تتضح لنا من الأمور الشبيهة. لكن حيث أن «ليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الآب أن يعلن له» (مت١١:٢٧) لذلك فإن الكتاب القديسين الذين أعلن لهم الابن ذاته، قد قدموا لنا صورة معينة من الأشياء المنظورة قائلين «هو بهاء مجده ورسم جوهره» (عب١:٣) وايضاً «لأن عندك ينبوع الحياة، بنورك نرى نوراً» (مز٣٦:٩) وعندما يوبخ الكلمة اسرائيل يقول «تركت ينبوع الحكمة» (باروخ٣:١٢) وهذا الينبوع هو الذى يقول «تركونى أنا ينبوع المياه الحية» (أر٢:١٣). إن التشبيه فقير حقاً ومعتم جداً إذا ما قورن بما نتوق إليه. لكن بالرغم من ذلك يمكن أن نفهم منه شيئاً يفوق طبيعة الإنسان، بدلاً من أن نعتبر أن ميلاد الابن هو مثل ميلادنا. من يستطيع

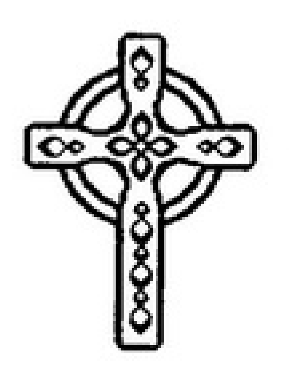
ابداً أن يتصور أن بهاء النور لم يكن موجوداً دائماً، حتى يجرؤ أن يقول أن الابن لم يكن موجوداً دوماً، أو أن الابن لم يكن موجوداً قبل ميلاده؟ أو من ذا الذى يستطيع أن يفصل البهاء عن الشمس، أو أن يتخيل أن النبع خال من الحياة، حتى يقول بجنون أن «الابن من العدم» بينما هو (أى الابن) يقول «أنا هو الحياة» (يو١٤ :٦) أو أن يقول «هو غريب عن جوهر الآب» بينما هو يقول «من رآنى فقد رأى الآب» (يو١٤ :٩) لأن الكُتاب المقدسين إذ يريدوننا أن نفهم بهذه الطريقة، قدموا هذه التشبيهات. وإنه لأمر غير لائق وعديم التقوى تماماً، أنه بالرغم من أن الأسفار المقدسة تتضمن مثل هذه التشبيهات، نكوّن أفكاراً عن ربنا من آخرين ليسوا فى الأسفار المقدسة ولا لهم أى فكر تقى.

١٣) لذلك دعهم يخبروننا من أى معلم أو من تقليد جاؤا بهذه المفاهيم عن المخلص؟ سوف يقولون «لقد قرأنا فى سفر الأمثال:الرب قنانى أول طريقه من قبل أعماله (أم٨ :٢٢)». لقد اعتاد هذا اليوسابيوس وأتباعه أن يؤكدوا على هذه الآية، وقد كتبتَ أنت إلىّ تخبرنى أن الأناس الحاليون ايضاً، رغم أنهم هُزموا وأُفحموا بكثرة الحجج، إلا أنهم لا يزالون ينشرون هذا النص فى كل مكان قائلين أن الابن واحد من المخلوقات، معتبرين إياه ضمن الأشياء المبتدئة. لكن يبدو لى أنهم يفهمون هذه الآية ايضاً فهماً خاطئاً، إذ لها معنى تقى ومستقيم جداً، والذى لو كانوا قد فهموه لما جدفوا على رب المجد. ذلك أنه عندما يقارنون ما قد ذُكر عاليه مع هذا النص، سيجدون فرقاً ضخماً بينهما. إذ ما هو ذلك الذى لا يستوعبه الإنسان الصحيح الفهم فى أن ما هو مخلوق ومصنوع هو خارج عن الخالق، أما الابن ـ كما أوضحت المناقشة السالفة ـ فيوجد، ليس خارجياً، بل من الآب الذى ولده؟ لأن الإنسان ايضاً يبنى بيتاً وكذلك يلد ابناً، وليس من أحد يعكس هذه الأشياء ويقول أن البيت أو السفينة قد ولدهما البانى، لكنه هو (البانى) الذى صنع الابن. ولا يقول أحد أن البيت هو صورة بانيه، وأن الابن لا يشبه ذلك الذى ولده، بل بالأحرى سوف يعترف أن الابن هو صورة الآب، أما البيت فهو عمل فنى، إلا إذا كان عقله مضطرب ومحتدم غضباً. ومن الجلى أن

الأسفار الإلهية، التى تعرف أفضل من أى أحد طبيعة الأشياء تقول بموسى عن المخلوقات «فى البدء خلق الله السموات والأرض» (تك١ :١) أما عن الابن فلا تقدم (أى كاتب) آخر بل الآب نفسه قائلاً «من رحم الفجر لك طل حداثتك» (مز١١٠ :٣) وايضاً «أنت ابنى، أنا اليوم ولدتك» (مز٢ :٧). والرب يقول عن نفسه فى سفر الأمثال «قبل التلال أبدئت» (أم٨ :٢٥) وعن الأشياء المبتدأة والمخلوقة يتحدث يوحنا قائلاً «كل شئ به كان» (يو١ :٣) أما عندما يكرز بالرب فيقول «الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبّر» (يو١ :١٨). لذلك إذا كان الابن ليس مخلوق وإذا كان المخلوق ليس ابن، لأن هناك فرقاً ضخماً بينهما، فإن الابن والمخلوق لا يمكن أن يكونا واحداً، إلا إذا كان من الممكن أن يعتبر جوهره من الله وفى نفس الوقت خارج عن الله.

١٤) «إذاً هل ليس لهذا النص أى معنى؟» لأنهم بهذا الكلام يطنطنون حولنا مثل سرب من البعوض. كلا بالتأكيد، هذا النص ليس بلا معنى، بل له معنى مخالف تماماً (لما يفهمون) لأنه من الصحيح أن نقول أن الابن خُلق ايضاً، لكن هذا حدث عندما تأنس لأن الخلق يخص الإنسان. ويمكن لأى إنسان أن يجد هذا المعنى وارداً على نحو وافٍ فى الوحى الإلهى، إن كان بدلاً من أن يعتبر دراسته أمراً ثانوياً، يفحص الزمان والأشخاص والهدف، وهكذا يدرس ويتأمل فيما يقرأه. فمن جهة الزمان والمناسبة المذكور فيها، سيجد بالتأكيد أن الرب بينما هو موجود دوماً، اخيراً فى ملء الزمان تأنس، وبينما هو ابن الله، صار ابناً للإنسان ايضاً. وأما فيما يخص الهدف، سيفهم أن (الرب) إذ كان يريد أن يُبطل موتنا، اتخذ لنفسه جسداً من العذراء مريم، لكى بتقديم هذا إلى الآب ذبيحة عن الجميع، يخلصنا جميعاً، نحن الذين خوفاً من الموت كنا كل حياتنا تحت العبودية (عب٢ :١٥). وأما عن الشخصية، فهى بالتأكيد شخصية المخلص، لكن قيلت عنه عندما أتخذ لنفسه جسداً وقال «الرب قنانى أول طريقه من قبل أعماله» (أم٨ :٢٢). فكما يخص ابن الله بلياقة أن يكون أزلى وفى حضن الآب، كذلك عند تأنسه لاقت به الكلمات «الرب قنانى (خلقنى)» إذ عندئذ

تُقال عنه مثلما يُقال عنه ايضاً أنه جاع، وعطش، وسأل أين يرقد لعازر، وتألم وقام ثانية. وكما أننا عندما نسمع أنه رب وإله ونور حقيقى نفهم أنه من الآب، كذلك عند سماعنا «الرب قنانى» و«عبد» و«تألم» لن ننسب ذلك بصواب إلى اللاهوت، لأن ذلك لا يخصه، بل يجب أن نفسره بذلك الجسد الذى حمله لأجلنا، لأن كل هذه الأشياء لائقة به (أى بجسده)، وهذا الجسد لم يكن جسد أحد آخر غير الكلمة. وإذا أردنا أن نعرف الهدف الذى يتحقق من وراء هذا، سنجد أنه كما يلى: إن الكلمة تجسد لكى يقدم هذا الجسد عن الجميع، ونحن عندما نشترك فى روحه، يمكن أن نتقدس، وهى عطية لم نكن لننالها بأى طريقة أخرى إلا بأن يكتسى هو بجسدنا المخلوق. لذلك نحن نأخذ اسمنا «أناس الله» «أناس فى المسيح» لكن كما أننا بنوالنا الروح القدس لا نفقد جوهرنا الخاص بنا، كذلك الرب عندما تأنس لأجلنا وحمل جسداً، ظل إله كما هو، لأن حجاب الجسد لم ينتقص منه، بل بالأحرى هو ألهّه وجعله غير مائت.



الفصل الرابع

برهان على المعنى الجامع لكلمة "ابن"

قوة، كلمة أو عقل، وحكمة، أسماء الابن تتضمن الأزلية، وكذلك لقب «الينبوع» الخاص بالاب. الأريوسيون يردون قائلين أن هذه الأسماء لم تكن تخص الابن قبلاً، بل هى أسماء أُعطيت له، وأن الله له كلمات وقوى عديدة... إلخ. لماذا ليس هناك إلا ابن وكلمة واحد... إلخ. كل ألقاب الابن تُوجد فيه معاً فى وقت واحد.

١٥) إن هذا كاف تماماً لفضح خزى البدعة الأريوسية، لأنه ـ حسبما أعطى الرب ـ من كلماتهم نفسها يرتد الفجور وعدم التقوى إليهم ثانية. لكن تعال الآن ودعنا من جانبنا نساير المخطئ ونطلب منهم إجابة، لأن الوقت الآن مناسب، عندما خذلتهم حجتهم نفسها، لأن نسألهم على أساس حجتنا نحن، فربما ذلك يربك ويخزى الضال ويكشف لهم من أين سقطوا. لقد تعلمنا من الأسفار الإلهية أن ابن الله، كما ذُكر عاليه، هو كلمة وحكمة الآب نفسه، لأن الرسول يقول «المسيح قوة الله وحكمة الله» (١كو١:٢٤) ويوحنا بعد أن يقول «والكلمة صار جسداً» يُضيف على الفور «ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوء نعمة وحقاً» (يو١:١٤) ولذلك فإذ الكلمة هو الابن الوحيد الجنس،

في هذا الكلمة والحكمة خُلقت السماء والأرض وكل ما فيهما. وعن هذه الحكمة التي تنبع من الله، تعلمنا من باروخ، عندما أتهم إسرائيل بأنه قد ترك ينبوع الحكمة. إذاً إن كانوا ينكرون الكتاب المقدس، يكونون في الحال غرباء عن الاسم (مسيحيين) ويليق بهم أن يدعوهم الجميع ملحدين وأعداء المسيح، لأنهم جلبوا على أنفسهم هذه الأسماء. أما إذا كانوا يتفقون معنا في أن أقوال الكتاب المقدس هذه هي موحى بها إلهياً، دعهم يجرؤون على أن يقولوا علانية ما يفكرون فيه سراً أي أن الله كان في وقت ما بدون كلمة وبدون حكمة. ودعهم في جنونهم يقولون «كان هناك وقت لم يكن (الابن) موجوداً فيه» و«قبل ميلاده، لم يكن المسيح موجوداً» وايضاً دعهم يعلنون أن الينبوع لم يلد حكمة من ذاته، بل حصل عليها من خارجه، حتى يجرؤون أن يقولوا أن «الابن جاء من العدم». ومن ثم ينتج عن ذلك أنه ليس هناك ينبوع بل بركة ما، كأنها تتلقى المياه من خارج وتغتصب الاسم «ينبوع».

١٦) كم مملوء هذا الفكر بالمروق، وأنا أعتقد أنه ليس من أحد يشك في منْ هوذا الذي له ابداً مثل هذا الفهم الضئيل. لكن طالما أنهم يدمدمون شيئاً عن الكلمة والحكمة قائلين أنهما مجرد اسمين للابن، إذاً يجب أن نسألهم: إذا كان هذين مجرد اسمين للابن، إذاً لابد أن يكون هو نفسه شيئاً آخر بجانبهما. وإذا كان هو أعظم من الأسماء، إذاً لا يصح أن يشير الأقل إلى الأعظم. أما إذا كان أقل من الأسماء، فلابد أن فيه مبدأ هذه التسمية الأكثر شرفاً وكرامة، وهذا يعني تحسنه وترقيه، وهو فجور ومروق يفوق كل ما كان قبله. لأن ذلك الذي في الآب، والآب فيه ايضاً، هو الذي يقول «أنا والآب واحد» (يو١٠: ٣٠) ومنْ رآه فقد رأى الآب، والقول بأنه قد رُفع ومُجد من قِبل أي شئ خارجي، إنما هو جنون مطبق.

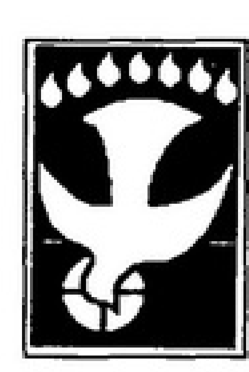
وعندما يُهزمون هكذا، ومثل يوسابيوس وأتباعه في هذه المآزق والضيقات الشديدة، يقدمون هذه الذريعة الباقية، والتي اخترعها آريوس ايضاً في الأغاني وفي

كتابه «ثاليا (الوليمة) Thalia» كصعوبة جديدة (أمامنا): «الله ينطق بكلمات كثيرة، فأي منها إذاً يجب أن ندعوه ابن وكلمة ووحيد الآب؟». إنهم عديمي التمييز وأي شئ إلا أن يكونوا مسيحيين!! إذ أولاً عندما يستخدمون مثل هذه اللغة في الحديث عن الله، يتصورونه على أنه تقريباً إنسان، يتحدث ويغير كلماته الأولى بكلماته الثانية، كما لو لم تكن كلمة واحدة من الله كافية لخلق سائر الأشياء بحسب إرادة الآب وكافية لعنايته وإهتمامه الإلهي بالكل. فالقول بأنه ينطق بكلمات كثيرة إنما يعني ضعف هذه الكلمات جميعها، إذ أن كل كلمة منها تحتاج لمساعدة الأخرى، أما كون الله له كلمة واحدة، والذي هو عقيدة صحيحة، فيُظهر قوة الله وكذلك كمال الكلمة الذي منه، والفهم التقي لهؤلاء الذين يؤمنون بذلك.

١٧) ليتهم يقبلون أن يعترفوا بالحق من قولهم هم أنفسهم!! لأنهم إذا سلموا بأن الله يُصدر كلمات، سيعلمون بوضوح أنه الآب، وعندما يقولون ذلك، دعهم يفكرون ويتأملون في أنهم عندما ينفرون من أن ينسبوا كلمة واحدة إلى الله، يتخيلون أنه اب لكثيرين، ورغم أنهم يرفضون أن يقولوا أنه ليس هناك كلمة لله على الإطلاق، إلا أنهم لا يعترفون أنه ابن الله، الأمر الذي هو جهل بالحق وعدم خبرة في الأسفار المقدسة. لأنه إذا كان الله أباً لأي كلمة، لماذا لا يكون ذاك المولود ابناً؟ وايضاً منْ ذا الذي يجب أن يكون ابن الله إلا كلمته؟ لأنه ليس هناك كلمات كثيرة وإلا كان كل منهم غير كامل. لكن الكلمة واحد حتى يكون هو وحده كاملاً. ولأن الله واحد، لذلك يجب أن تكون صورته ايضاً واحدة والتي هي الابن. لأن ابن الله ـ كما يمكن أن نتعلم من الأسفار الإلهية نفسها ـ هو عينه كلمة الله، والحكمة، والصورة، والسيد، والقوة، لأن ابن الله هو واحد، وهذه الألقاب إنما هي صفات مميزة للميلاد من الآب. لأنك عندما تقول «الابن» فأنت بذلك تشير إلى ما هو من الآب بالطبيعة. وإذا فكرت في الكلمة، فأنت تفكر فيما هو منه، وما هو غير منفصل عنه، وعندما تتحدث عن الحكمة، فأنت ايضاً تعني بنفس القدر ما هو ليس من خارجه بل منه وفيه، وإذا

ذكرت اسم «القوة» و«اليد»، فأنت ايضاً تتحدث عما هو خاص بالجوهر، وعندما تتحدث عن الصورة، فإنما أنت تشير إلى الابن. إذ هل هناك شئ آخر يشبه الله إلا المولود منه؟ بلا شك هذه الأشياء، والتى وُجدت بالكلمة، هى «مؤسسة فى الحكمة» وكل ما هو «مؤسس فى الحكمة»، هو جميعه مصنوع باليد ووجد بالابن. ولدينا دليل على ذلك، ليس من مصادر خارجية، بل من الكتاب المقدس، لأن الله نفسه يقول بأشعياء النبى «يدى أسست الأرض ويمينى نشرت السموات» (أش٤٨ :١٣) وايضاً «بظل يدى سترتك لغرس السموات وتأسيس الأرض» (أش٥١ :١٦) وإذ تعلم داود هذا، وكان يعرف أن يد الرب ليست إلا حكمته، يقول فى المزمور «كلها بحكمة صُنعت، ملآنة الأرض من غناك» (مز١٠٤ :٢٤) وسليمان ايضاً نال نفس المعرفة من الله ويقول «الرب بالحكمة أسس الأرض» (أم٣ :١٩). ويوحنا، إذ كان يعرف أن الكلمة هو اليد والحكمة، علم هكذا «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان فى البدء عند الله، كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان» (يو١ :١-٣) والرسول إذ رأى أن اليد والحكمة ليسا إلا الابن يقول «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً لكل شئ الذى به ايضاً عمل العالمين» (عب١ :١-٢)، وايضاً يقول «لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جمع الأشياء ونحن له» (١كو٨ :٦). ولأنه كان يعرف ايضاً أن الكلمة والحكمة والابن نفسه هو صورة الاب، لذلك يقول فى الرسالة إلى أهل كولوسى «شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا، الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة، فأنه فيه خُلق الكل ما فى السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق، الذى هو قبل كل شئ وفيه يقدم الكل» (كولوسى١ :١٢-١٧). فإذ كل الأشياء قد خُلقت

بالكلمة، لذلك، لأنه هو الصورة، هى كلها قد خُلقت ايضاً فيه. وهكذا كل منْ يوجه أفكاره نحو الرب، سيتجنب الوقوع على صخرة الإثم، بل بالأحرى سيمضى قدماً إلى البهاء فى ضوء الحق. لأن هذه هى عقيدة الحق بالرغم من أن هؤلاء المشاكسين ينفجرون غيظاً، إذ لا هم أتقياء تجاه الله، ولا هم يخجلون عند إفحامهم ودحضهم.



الفصل الخامس

دفاع عن تعبيرات المجمع

"من جوهر" و"مساو فى الجوهر"

إعترض بأن التعبيرات ليست كتابية. يجب علينا أن ننظر إلى المعنى وليس إلى الكلمات فقط. مراوغة الأريوسيين وتهربهم من تعبير «من الله» الوارد فى الكتاب المقدس. تهربهم وتجنبهم لكل التفسيرات التى إختارها المجمع والمقصود بها دحض الصيغة الأريوسية. اعتراض بأن هذه التعبيرات تحمل معنى مادى.

١٨) لقد فُحص يوسابيوس وأتباعه فى الفترة السابقة بأستفاضة كبيرة، وقد أدانوا أنفسهم ـ كما أسلفت ـ عندما وافقوا (على تعريف إيمان مجمع نيقية)، وبعد تغيير الذهن هذا، استمروا فى هدوء وتراجع، إلا أن الحزب الحالى، فى غرور الفجور الجديد، وبذهن مشوش عن الحق، يهاجم المجمع بعنف تام ويتهمه. دعهم يخبروننا: من أى نوع من الأساقفة تعلموا، أو من هو القديس الذى علمهم، حتى أنهم جمعوا معاً العبارات «من العدم» و«لم يكن موجوداً قبل ميلاده» و«لم يكن موجوداً» و«متغير» و«الوجود السابق» و«عند مشيئة» والتى هى (أى العبارات) اختراعاتهم فى الإستهزاء بالرب. لأن المبارك بولس فى رسالته إلى العبرانيين يقول «بالإيمان نفهم أن العالمين أُتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما

يُرى مما هو ظاهر» (عب١١:٣). لكن ليس هناك أى شئ مشترك بين الكلمة والعالمين، لأنه هو الكائن قبل العالمين والذى به ايضاً وُجدت العالمين. وفى كتاب الراعى (هرماس) (لأنهم يتذرعون بهذا الكتاب ايضاً رغم أنه ليس ضمن قانون الأسفار الإلهية) مكتوب: «أول كل شئ آمن أن الله واحد، الذى خلق كل الأشياء ورتبها، وأتى بجميع الأشياء من العدم إلى الوجود». لكن هذا ايضاً لا يخص الابن لأنه (أى كتاب الراعى)يتحدث عن سائر الأشياء التى خُلقت به، والتى هو متميز عنها، إذ من المستحيل أن نعتبر خالق الكل ضمن الأشياء التى خلقها هو نفسه، إلا إذا كان هناك إنسان خارج عن طوره جداً حتى يقول أن المعمارى ايضاً هو مثل المبانى التى يشيدها.

لماذا إذاً، بعدما اخترعوا من جانبهم عبارات غير كتابية لأغراض الفجور وعدم التقوى، يتهمون هؤلاء الذين هم أتقياء فى إستخدامهم لها؟ لأن الفجور والمروق ممنوع تماماً، بالرغم من محاولة إخفائه وراء تعبيرات بارعة وسفسطة مقبولة ظاهرياً. أما التقوى، فالجميع يقر أنها قانونية، حتى لو قُدمت بتعبيرات غريبة بشرط فقط أن تستخدم هذه برؤية تقية وبرغبة فى جعلها تعبيراً عن أفكار تقية. إن التعبيرات السالفة الذكر التى يستخدمها أعداء المسيح قد أثبتت أنها ـ سابقاً والآن ـ ملآنة بعدم التقوى والفجور. بينما تعريف المجمع، فى مقابلها، إذا فُحص بدقة، سيثبت أنه تقديم كامل للحق، وخاصة إذا أعطينا إهتماماً دقيقاً بالمناسبة التى تسببت فى إستخدام هذه التعبيرات، وهذه المناسبة كانت معقولة وكانت كما يلى:

١٩) إذ كان المجمع يريد أن يدحض تعبيرات المروق التى للأريوسيين، وأن يستخدم بدلاً منها الكلمات المعترف بها والتى للأسفار الإلهية، أى أن الابن ليس من العدم بل «من الله» وأنه هو «كلمة» و«حكمة» وليس خلقة أو صنعة، بل هو ابن حقيقى للأب، وإذ كان يوسابيوس وأتباعه، منقادين ببدعتهم العنيدة، يفهمون عبارة «من الله» كأنها تخصنا نحن، كما لو كان كلمة الله لا يختلف

عنا فى أى شئ فى هذا المنحى، وذلك لأنه مكتوب «هناك إله واحد منه جميع الأشياء» (١كو٨:٦) وايضاً «الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً، ولكن الكل من الله» (٢كو٥:١٧-١٨)، لذلك لأن الآباء كانوا يفهمون خداعهم ومراوغتهم ومكر فجورهم، كانوا مرغمين على أن يعبّروا بتمييز ووضوح أكثر عن معنى الكلمات «من الله». وبالتالى كتبوا «من جوهر الله»، لكى لا تُعتبر عبارة «من الله» كأنها مشتركة ومتساوية فى الابن وفى الأشياء المخلوقة، بل يُعترف بأن كل الأشياء الأخرى هى مخلوقات وأن الكلمة وحده هو من الآب. إذ بالرغم من أنه قد قيل أن جميع الأشياء من الله، إلا أن هذا ليس بالمعنى الذى به الابن من الآب. إذ فيما يخص المخلوقات، قيلت عنهم عبارة «من الله» فى هذا الصدد بمعنى أنهم لم يُوجدوا عشوائياً أو تلقائياً، ولا جاؤا إلى الوجود بالصدفة، كما يقول هؤلاء الفلاسفة الذين يرجعون المخلوقات إلى إتحاد الذرات وإلى العناصر التى لها تراكيب متماثلة، ولا حسبما يتحدث بعض الهراطقة عن خالق متميز، ولا كما يقول آخرون ايضاً بأن خلق سائر الشياء هو من بعض الملائكة، بل بمعنى أنه (بينما الله كائن وموجود) به جلبت كل الأشياء إلى الوجود ـ والتى لم تكن موجودة قبلاً ـ بكلمته. أما بالنسبة للكلمة، فإذ هو ليس مخلوق ، لذلك هو الوحيد الذى يسمى ـ وهو فعلاً كذلك ـ «من الآب»، ومن الهام بهذا المعنى أن نقول أن الابن هو «من جوهر الآب» إذ لا ينطبق هذا على أى شئ مخلوق. وحقاً عندما يقول بولس «من الله جميع الأشياء» يضيف على الفور «ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء» (١كو٨:٦) لكى يُظهر لجميع الناس أن الابن مختلف عن جميع الأشياء التى وُجدت من الله (لأن الأشياء التى وُجدت من الله وُجدت بابنه)، ولكى يُظهر أنه استخدم الكلمات السالفة فى الإشارة إلى العالم كمخلوق من قبل الله، وليس كما لو كانت جميع الأشياء من الآب بنفس الطريقة التى بها الابن منه. إذ لا الأشياء الأخرى مثل الابن، ولا الكلمة واحد ضمن آخرين، لأنه رب وخالق الكل. وبناء على هذا، أعلن المجمع المقدس بوضوح أنه من جوهر الآب حتى

نؤمن أن الكلمة مختلف عن طبيعة الأشياء المخلوقة لأنه هو وحده حقاً من الله، وأنه لا يجب أن تُترك أية ذريعة متاحة لعديم التقوى. هذا إذاً كان السبب فى كتابة المجمع لعبارة «من جوهر».

٢٠) ايضاً عندما قال الأساقفة أن الكلمة لابد أن يُوصف بأنه القوة والصورة الحقيقية للآب، وأنه فى جميع الأمور مماثل للآب، وأنه غير متغير، وأنه موجود دائماً، وأنه فيه (أى فى الآب) بدون إنقسام (لأن الابن لم يكن قط غير موجود، بل كان موجوداً دائماً، كائناً أزلياً مع الآب كمثل شعاع النور)، عندما قال الأساقفة ذلك، احتمل يوسابيوس وأتباعه فعلاً ـ لأنهم لم يجرؤا على أن يخالفوا ـ أن تخزيهم الحجج التى قُدمت ضدهم، لكن بالرغم من ذلك، ضُبطوا وهم يهمسون لبعضهم البعض ويغمزون بعيونهم أن (التعبيرات) «شبه» و«دائماً» و«قوة» و«فيه» هى ـ كما كانت قبلاً ـ مشتركة بيننا وبين الابن، وأنه ليس أمراً صعباً أن يوافقوا عليها. فبالنسبة لتعبير «شبه» يقولون أنه كُتب عنا «الرجل صورة الله ومجده» (١كو١١:٧)، وعن التعبير «دائماً» يقولون «لأننا نحن الأحياء دائماً» (٢كو٤:١١) وعن التعبير فيه يقولون «به نحيا ونتحرك ونوجد» (أع١٧:٢٨) وعن التعبير «غير متغير» يقولون أنه مكتوب «من سيفصلنا عن محبة المسيح» (رو٨:٣٥)، وعن «القوة» يقولون أن الجراد الغوغاء والطيار يسمى «جيش» و«جيش عظيم» (يوئيل٢:٢٥)، وأنه قيل فى أحيان كثيرة عن الناس، وعلى سبيل المثال «جميع أجناد (قوات) الرب خرجت من أرض مصر» (خر١٢:٤١)، وهناك أمثلة أخرى، سماوية، لأن الكتاب المقدس يقول «رب الجنود (القوات) معنا، ملجأنا إله يعقوب» (مز٤٦:٧). وبالفعل قال أستريوس *Asterius*، المُلقب بالسوفسطائى، شئ مثل ذلك كتابة بعد أن تعلمه منهم، وقبله آريوس الذى تعلمه ايضاً، كما ذكرنا. إلا أن الأساقفة، لأنهم ميزوا فى ذلك ايضاً خداعهم، ولأنه مكتوب «الغش فى قلب الذين يفكرون فى الشر» (أم١٢:٢٠) لذلك اضطروا ثانية من جانبهم أن يجمعوا معنى الأسفار الإلهية، وأن يقولوا ثانية ويكتبوا ثانية، بوضوح وتحديد أكثر، ما كانوا قد قالوه قبلاً، أى

أن الابن هو «مساو فى الجوهر» للآب، موضحين أن الابن هو من الآب، وليس مجرد شبه بل هو مثل الآب تماماً، ، مظهرين أن شبه الابن وعدم تغيره يختلف عن شبهنا نحن لله والذى نناله من الفضيلة على أساس حفظ الوصايا. لأن الأجساد التى يشبه كل منها الآخر يمكن أن تنفصل وأن تبعد عن بعضها البعض، مثل الأبناء البشريين بالنسبة لوالديهم (كما هو مكتوب عن آدم وشيث، الذى وُلد منه، أنه كان على شبهه كصورته. تك ٥:٣). لكن لأن ميلاد الابن ليس بحسب طبيعة الناس، وهو ليس فقط مثل الآب، بل وايضاً غير منفصل عن جوهره، وهو والآب واحد، كما قال هو نفسه، ولأن الكلمة هو دوماً فى الآب والآب فى الكلمة، كما الشعاع بالنسبة للضوء (لأن التعبير نفسه يوضح ذلك)، لذلك فإن المجمع إذ وعى وفهم ذلك، كتب بطريقة مناسبة تعبير «مساو فى الجوهر» لكى يهزموا ضلال الهراطقة، ولكى يظهروا أن الكلمة مختلف عن الأشياء المخلوقة. لأنهم بعد أن كتبوا هذا، أضافوا على الفور «أما هؤلاء الذين يقولون أن ابن الله هو من العدم، أو مخلوق، أو متغير، أو صنعة، أو من جوهر آخر، فهؤلاء تحرمهم الكنيسة المقدسة الجامعة». وبقولهم هذا أعلنوا بوضوح وتحديد أن التعبيرات «من جوهر» و«مساو فى الجوهر» تدحض شعارات الفجور مثل «مخلوق» و«صنعة» و«مبتدئ» و«متغير» و«لم يكن موجوداً قبل ميلاده». ومن يتمسك بهذه الشعارات، يخالف المجمع، أما من لا يتفق مع آريوس، فلابد أنه يتمسك بقرارات المجمع ويعنيها معتبراً أنها تدل بطريقة مناسبة على علاقة الشعاع بالنور، ومن ثم ينال صورة توضيحية للحق.

٢١) لذلك إذا كانوا – مثل الآخرين – يقدمون عذراً بأن هذه التعبيرات غريبة، دعهم يفكرون فى المعنى الذى به كتب المجمع ذلك، ويحرمون ما قد حرمه المجمع، وعندئذ دعهم – إن استطاعوا – يجدون أى خطأ فى هذه التعبيرات. لكنى أعلم جيداً أنهم إذا كانوا يقبلون المعنى الذى يقصده المجمع، فسوف يقبلون تماماً المصطلحات التى يقدم بها هذا المعنى، فى حين أنه إذا كان هو المعنى الذى يريدون أن يعترضوا عليه، فلابد أن يعتبر الجميع أنه عبث وتفاهة منهم أن يناقشوا

صياغة الكلمات، عندما لا يسعون إلا إلى وسائل للفجور وعدم التقوى. إن هذا هو سبب هذه التعبيرات، لكن إذا كانوا لا يزالون يعترضون قائلين أن مثل هذه التعبيرات غير كتابية، فإن هذا الاعتراض نفسه هو سبب لإلقائهم خارجاً لأنهم يتحدثون عبثاً ومضطربين فى أذهانهم. ودعهم يلومون أنفسهم فى هذا الأمر، لأنهم هم الذين وضعوا المثال، مبتدئين حرباً ضد الله بكلمات ليس من الكتاب المقدس. على أية حال، إذا كان هناك أى إنسان مهتم بالموضوع، دعه يعلم أنه حتى إذا لم تكن هذه التعبيرات موجودة بكلمات كثيرة جداً فى الكتاب المقدس، فمع ذلك – كما قلنا قبلاً – هى تتضمن وتحوى معنى الأسفار المقدسة، وإذ تعبر عنه، تقدمه إلى هؤلاء الذين لهم مسامع سليمة غير فاسدة للعقيدة التقية. والآن هذه الحقيقة هى لك لكى تفكر فيها ولهؤلاء الذين تلقوا تعليماً خاطئاً ليصغوا إليها. لقد ثبت عاليه – ولابد أن نؤمن به كأمر حقيقى – أن الكلمة هو من الله، وأنه هو ابنه الوحيد والطبيعى. إذ من أين يعتقد المرء أن الابن كائن، الذى هو حكمة وكلمة وفيه كل الأشياء قد وُجدت، إلا من الله نفسه؟والأسفار الإلهية تعلمنا هذا، لأن الآب يقول بداود «فاض قلبى بكلام صالح»[1] (مز٤٥:١) و«من رحم الفجر لك طل حداثتك» (مز١١٠:٣) والابن يعلن لليهود عن نفسه قائلاً «لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى لأنى خرجت من قِبل الله» (يو٨:٤٢) وايضاً «ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذى من الله، هذا قد رأى الآب» (يو٦:٤٦)وأكثر من ذلك أن قوله «أنا والآب واحد» (يو١٠:٣٠) و«أنا فى الآب والاب فىّ» (يو١٤:١٠) إنما هو مساو للقول «أنا من الآب وغير منفصل عنه» ويوحنا فى قوله «الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر» (يو١:١٨) تحدث عما كان قد تعلمه من المخلص. وبالإضافة إلى ذلك، ما الذى تشير إليه عبارة «فى حضن» إلا ميلاد الابن الحقيقى من الآب؟

١) النص الذى يسرده القديس أثناسيوس هو «فاض قلبى بكلمة صالح» معتبراً أن هذا إشارة إلى الابن الكلمة. المترجم.

٢٢) إذا اعتبر أى إنسان أن الله مركب كأنه جوهر له عرض، أو أن له أى غلاف خارجى، وأنه يمكن تحديده، أو أن هناك أى شئ فيه يكمّل جوهره، بمعنى أننا عندما نقول «الله» أو «الآب» لا نشير إلى جوهر غير منظور وغير مدرك، بل إلى صفة من صفاته، إذاً دعهم يعترضون على بيان المجمع بأن الابن هو من جوهر الله، لكن دعهم يفهمون أنهم فى قولهم ذلك ينطقون بتجديفين: لأنهم يجعلون الله جسدانى، ويقولون خطأ أن الرب ليس ابناً للآب نفسه، بل صفة من صفاته، لكن إذا كان الله بسيطاً، كما هو بالفعل، ينتج عن ذلك أنه عند قولنا «الله» وتسميته «الآب»، لا نسمى صفة من صفاته بل جوهره نفسه.

فإذ رغم أنه يستحيل أن نفهم ماهية جوهر الله، إلا أننا إذا فهمنا فقط أن الله موجود، وإذا أشارت الأسفار المقدسة إليه عن طريق هذه الألقاب، فإننا بقصد الإشارة إليه وليس غيره، ندعوه الله وآب ورب. عندئذ عندما يقول «أهيه الذى أهيه» و«أنا الرب الإله» (خر٣:١٤-١٥) أو عندما يقول الكتاب المقدس «الله» لا نفهم شيئاً آخر بذلك إلا الإشارة إلى جوهره غير المدرك ذاته، وأن ذلك الذى الحديث عنه هو كائن.

لذلك يجب ألا يجفل أحد عندما يسمع أن ابن الله هو من جوهر الآب، بل فليقبل بالأحرى شرح الآباء الذين بلغة أكثر تحديداً، لكن مساوية، كتبوا بدلاً من تعبير «من الله» تعبير «من جوهر». لأنهم اعتبروه أمراً واحداً أن يقولوا أن الكلمة هو «من الله» و«من جوهر الله» لأن كلمة «الله»، كما قلت بالفعل، لا تشير إلا إلى جوهر ذاك الكائن. إذاً إذا لم يكن الكلمة ـ بهذا المعنى ـ من الله، كمثل أى ابن، حقيقى وطبيعى، من أى أب، لكن فقط مثل المخلوقات لأنها مصنوعة، ولأن «كل الأشياء من الله» إذاً هو ليس من جوهر الآب، ولا الابن أيضاً ابن بحسب الجوهر، بل نتيجة للفضيلة، مثلنا نحن الذين نُدعى أبناء بالنعمة. لكن كان إن هو فقط من الله كابن حقيقى، وهو كذلك بالفعل، إذاً يمكن أن يُدعى الابن بحق «من جوهر الله».

٢٣) ايضاً مثال النور وشعاعه يقدم هذا المعنى. لأن القديسين لم يقولوا أن الكلمة مرتبط بالله كمثل نار اشتعلت من حرارة الشمس، والتى عادة ما تُطفئ ثانية، لأن ذلك عمل خارجى ومخلوق خاص بصانعه. لكنهم جميعاً (أى القديسين) يكرزون به كشعاع، وبذلك يشيرون إلى كونه من الجوهر، وإلى كونه حقيقى وغير منقسم، وإلى وحدته مع الآب. وهذا ايضاً يضمن عدم تغيره الحقيقى وعدم تبدله، إذ كيف يمكن أن تكون هذه صفاته إلا إذا كان ابن حقيقى من جوهر الآب؟ لأن هذا ايضاً يجب أن يُفهم على أنه يؤكد تماثله مع أبيه هو. وإذ لشرحنا بُعدُ تقوى جداً، يجب ألا يجفل أعداء المسيح بسبب «مساو فى الجوهر» لأن هذا التعبير له معنى صحيح وأسباب جيدة. الحق أنه إذا قلنا أن الكلمة هو من جوهر الله (إذ بعدما قيل يجب أن يكون هذا تعبيراً يقبلونه)، فما الذى يعينه هذا إلا حقيقة وأزلية الجوهر الذى هو مولود منه؟ لأنه ليس مختلفاً فى النوع لئلا يتحد مع جوهر الله كشئ غريب ومختلف عنه. ولا هو يشبهه على المستوى الخارجى فقط لئلا يبدو فى بعض المناحى، أو فيها كلها، مختلف فى الجوهر، مثلما يلمع النحاس الأصفر مثل الذهب، والفضة مثل القصدير. لأن هذه غريبة ومن طبيعة أخرى، فتختلف عن بعضها البعض فى الطبيعة والخصائص، فلا النحاس الأصفر موافق للذهب، ولا الحمامة مولودة من اليمامة، لكن رغم أنهم يُعتبروا متماثلين، إلا أنهم يختلفون فى الجوهر. إذاً لو كان الأمر هكذا، لكان مخلوقاً مثلنا نحن وليس مساو فى الجوهر. أما إذا كان الابن هو كلمة وحكمة وصورة الآب وشعاعه، إذاً لابد أن يكون ـ بصواب تام ـ مساوياً فى الجوهر. لأنه ما لم يثبت أنه ليس من الله، بل أداة مختلفة فى الطبيعة ومختلفة فى الجوهر، فبالتأكيد كان المجمع صحيحاً فى عقيدته ومصيباً فى قراره.

٢٤) كذلك يجب أن يُستقصى أى استنتاج جسدانى عن هذا الموضوع، وإذ نتنزه عن أى تخيل للمعنى، دعنا، بفهم نقى وبالعقل وحده، نفهم العلاقة الحقيقية بين الآب والابن، والعلاقة الحقيقية بين الكلمة والآب، والشبه غير المتغير بين الشعاع والنور. لأنه كما تعنى الكلمات «ابن» و«مولود من» ـ وقَصد

بها أن تعنى ـ ليس أى معنى بشرى، بل معنى لائق بالله، بنفس الطريقة عندما نسمع تعبير «مساو فى الجوهر» يجب ألا نفهم أى معان بشرية، وألا نتخيل تقسيمات أو تجزيئات فى اللاهوت، بل ونحن موجهين أفكارنا نحو الأمور غير المادية، دعنا نحفظ وحدة الطبيعة وهوية النور غير منقسمين، لأن ذلك يخص أى ابن فيما يتعلق بالأب، وفى هذا يظهر أن الله هو آب حقيقى للكلمة. هنا ايضاً تشبيه النور وشعاعه وثيق الصلة بالموضوع. فمَنْ ذا الذى يجرؤ أن يقول أن الشعاع مختلف وغريب عن الشمس؟ بل مَنْ ذا الذى عندما يفكر فى الشعاع وعلاقته بالشمس وهوية النور، لا يقول بثقة «حقاً النور والشعاع هما واحد، والواحد منهما مستعلن فى الآخر، والشعاع هو فى الشمس حتى أن مَنْ يرى هذا يرى ذاك ايضاً»؟ لكن مثل هذه الوحدة والخاصية الطبيعية ماذا يجب أن يسميها هؤلاء الذين يؤمنون ولهم رؤية صائبة إلا مولود مساو فى الجوهر؟ وابن الله، ماذا يجب أن نعتبره، بطريقة مناسبة ولائقة، إلا كلمة وحكمة وقوة؟ وإنها لخطية أن نقول أن هذا الكلمة والحكمة والقوة هو غريب عن الآب، وجرم أن نتخيل أنه ليس مع الله السرمدى. إذ بهذا الابن صنع الآب جميع الأشياء، ومدّ عنايته الإلهية لتشمل سائر الأشياء، وبه يمارس محبته للإنسان، وهكذا هو والآب واحد، كما قد قيل، إلا إذا قام هؤلاء الضالون بمحاولة جديدة وقالوا أن جوهر الكلمة ليس مثل النور الذى فيه (أى فى الكلمة) من الآب، كما لو كان النور الذى فى الابن واحد مع الآب، بينما الابن نفسه غريب فى الجوهر لكونه مخلوق. إلا أن هذا ببساطة هو إيمان قيافا والسموسطائيين والذين حرمتهم الكنيسة، لكن هؤلاء الآن متنكرون، وبهذا سقطوا من الحق وأُعلن أنهم هراطقة. لأنه إذا كان يشترك (أى الابن) تماماً فى النور الذى من الآب، لماذا لا يكون هو بالأحرى ذلك النور الذى يشترك فيه، حتى لا يكون هناك أى وسيط بينه وبين الآب؟ وإلا لا يعود بعد واضحاً أن جميع الأشياء قد خُلقت بالابن، بل خلقها ذاك (أى الوسيط أو النور) الذى يشترك هو (أى الابن) فيه. وإذا كان ذلك هو كلمة وحكمة الآب الذى فيه يُستعلن الآب ويُعرف، والذى يخلق العالم، والذى

بدونه لا يفعل الآب شيئاً، فمن الجلى أنه هو الذى من الآب: لأن جميع الأشياء المبتدأة تشترك فيه، كما تشترك فى الروح القدس. وإذ هو كذلك، لا يمكن أن يكون من العدم، ولا أن يكون مخلوقاً على الإطلاق، بل بالأحرى ابن حقيقى من الآب كما الشعاع من النور.

الفصل السادس

مراجع تؤيد المجمع

ثيؤغنسطس، ديونيسيوس السكندرى، ديونيسيوس الرومانى،أوريجانوس.

٢٥) هذا إذاً هو المعنى الذى به استخدم هؤلاء الذين اجتمعوا فى نيقية هذه التعبيرات. لكن، بعد ذلك، لكى نثبت أنهم لم يخترعوا من أنفسهم (لأن هذا أحد أعذارهم)، بل قالوا ما قد تسلموه من سابقيهم، نمضى قدماً لكى نثبت ذلك ايضاً، ولكى ندحض حتى عذرهم هذا. فلتعلموا إذاً أيها الأريوسيون أعداء المسيح أن **ثيؤغنسطس**، وهو إنسان عالم، لم يرفض عبارة «مساو فى الجوهر» لأن فى الكتاب الثانى من مؤلفه «*Hypotyposes*» يكتب عن الابن هكذا:

«إن جوهر الابن ليس مكتسباً من الخارج، ولا هو جاء من العدم، بل ينبع من جوهر الآب، كمثل الشعاع من الضوء، وكمثل البخار من الماء، إذ لا الشعاع ولا البخار هو الماء نفسه أو الشمس نفسها، ولا هو غريب عنها، بل هو فيض من جوهر الآب الذى ليس فيه أى تقسيم. إذ كما أن الشمس تظل كما هى ولا تضعف بسبب الأشعة التى تسكبها، كذلك فإن جوهر الآب لا يتغير بالرغم من أنه له الابن كصورة له». فبعد أن فحص ثيؤغنسطس الأمر قبلاً، يمضى قدماً ليقدم أرائه فى كلماته السابقة.

بعد ذلك **ديونيسيوس الذى كان أسقفاً للإسكندرية**، فعندما كتب ضد سابليوس وشرح بإستفاضة تدبير المخلص بحسب الجسد، ومن ثم أثبت ضد السابليين أن الابن هو الذى تجسد كما قال يوحنا وليس الآب، كان هناك شك

فى أنه يقول أن الابن مخلوق ومبتدئ، وأنه ليس مساو للآب فى الجوهر، فكتب عن هذا الأمر إلى ديونيسيوس سميه أسقف روما ليحتج فى دفاعه بأن ذلك كان إفتراء عليه. وأكد له أنه لم يدعو الابن مخلوقاً، بل اعترف أنه مساو فى الجوهر. وجرت كلماته هكذا:

«وقد كتبت فى رسالة أخرى دحض للتهمة الزائفة التى أتهمونى بها ألا وهى أننى أنكر أن المسيح مساو لله فى الجوهر. إذ رغم أنى أقول أننى لم أجد هذا المصطلح فى أى موضع فى الأسفار المقدسة، إلا أن ملاحظاتى التى تلى، والتى لم ينتبهوا إليها، ليس مخالفة لهذا الإيمان. لأن أتخذت من الميلاد البشرى مثالاً لكونه من طبيعة واحدة بوضوح تام، ولاحظت أن الآباء يختلفون بالتأكيد عن أبنائهم فقط فى كونهم ليسوا نفس الأشخاص، وإلا ما كان هناك آباء أو أبناء. وكما أسلفت، لا أستطيع تقديم رسالتى (هذه) بسبب الظروف الحالية، وإلا كنت أرسلت لك الكلمات التى استخدمتها عينها أو حتى نسخة منها، الأمر الذى سوف أفعله لو أُتيحت لىّ الفرصة. لكنى واثق مما أتذكر، أننى أوردت أمثلة من الأشياء ذات الطبيعة الواحدة. فعلى سبيل المثال، أى نبات ينبت من بذرة أو من جذر، يختلف عن ذلك الذى ينبت منه ومع ذلك يكون مساوٍ له تماماً فى الطبيعة. وأى نهر يجرى من نبع يكتسب اسماً جديداً، إذ لا النهر يُدعى نبعاً ولا النبع يُدعى نهراً، رغم أن كلاهما موجود، والنهر هو الماء الذى يخرج من النبع».

وعن كون كلمة الله ليس صنعة أو خلقة، بل ابن حقيقى لجوهر الآب وغير منقسم، كما كتب المجمع العظيم، فهذا يمكننا أن نراه فى كلمات **ديونيسيوس أسقف روما** الذى – بينما كان يكتب ضد السابليين – هاجم بعنف هؤلاء الذين جرؤا أن يقولوا هذا:

«بعد ذلك يمكن أن أتناول هؤلاء الذين يقسمون ويقطعون إلى أجزاء ويدمرون أقدس عقيدة فى كنيسة الله، ألا وهى وحدانية الأصل الإلهى، جاعلين

إياه كما لو كان هناك ثلاثة قوى وجواهر منقسمة، وثلاثة إلوهيات (ثلاثة لاهوت *godhead*) وقد أُخبرت أن بعض من بينكم أنتم المعلمين للكلمة الإلهية، يقودون الطريق فى هذا المعتقد، وهم ضد آراء سابليوس تماماً، لأنه يقول بتجديف أن الابن هو الآب، والآب هو الابن، أما هم فيعلمون إلى حد ما بوجود ثلاثة آلهة، مقسمين الواحد القدوس *Sacred Monad* إلى ثلاثة جواهر غريبة عن بعضها البعض ومنفصلة تماماً. إذ لابد أن يكون الكلمة الإلهى متحد مع إله الكون، ولابد أن يستقر الروح القدس ويسكن فى الله. وهكذا فى واحد كما فى قمة، أعنى إله الكون، لابد أن يتحد الثالوث الإلهى ويكون معاً. لأنها عقيدة مرقيون الوقح أن يمزق ويقسّم الأصل الإلهى *Monarchy* إلى ثلاثة أصول، وهو تعليم الشيطان وليس تعليم تلاميذ المسيح الحقيقيين ومحبى تعاليم المخلص. لأنهم يعرفون جيداً أن الأسفار الإلهية تبشر بالثالوث. بينما لا العهد القديم ولا العهد الجديد يبشر بثلاثة آلهة. وبالمثل ينبغى أن يوبخ المرء هؤلاء الذين يعتقدون أن الابن مخلوق، ويعتبرون أن الرب قد جاء إلى الوجود كواحد من الأشياء التى أتت إلى الوجود، رغم أن الوحى الإلهى يشهد لميلاد لائق به ومناسب، لكن لا يشهد لأى خلق أو صنع له. إذاً هو تجديف، ليس عادى، بل أقصى تجديف، أن يُقال أن الرب هو إلى حد ما مخلوق. لأنه إذا كان قد صار ابناً بينما هو لم يكن قبل ذلك، لكن كان موجوداً دوماً، وإذا كان فى الآب كما يقول هو نفسه، وإذا كان المسيح كلمة وحكمة وقوة (وهو أمر يذكره الكتاب المقدس كما تعرفون)، وهذه الصفات هى قوى الله، إذاً إذا كان الابن قد أتى إلى الوجود، فقد كان هناك وقت لم تكن فيه هذه الصفات موجودة، وبالتالى كان هناك وقت كان فيه الله بدون هذه الصفات، وهو تفكير مناف تماماً للعقل. ولماذا استطرد فى الحديث عن هذه النقاط لكم أنتم المملوئين بالروح والواعين جيداً بهذه السخافات التى تنتج عن القول بأن الابن مخلوق؟ فإذ كان أصحاب هذه الآراء ـ حسبما أعتقد ـ غير ملمين بالحقائق، ضلوا تماماً عن الحق فى شرحهم ـ بعكس معنى الكتاب المقدس الإلهى والنبوى فى النص ـ للكلمات «الرب قنانى أول طريقه من قبل

أعماله منذ القدم» (أم٨:٢٢). لأن معنى «قنانى» كما تعرفون، ليس واحد، لأننا لابد أن نفهم «قنانى» فى هذا الموضع بمعنى أن الأعمال «مخلوقة بالابن نفسه». و«قنانى» هنا ينبغى ألا تُفهم بمعنى «صُنع» لأن الإقتناء يختلف عن الصنع، «أليس هو أباك ومقتنيك، هو عملك وأنشأك» (تث٣٢:٦) هذا ما يقوله موسى فى تسبحته العظيمة فى سفر التثنية. ويمكن أن يقول لهم المرء: أيها الطائشون، هل هو مصنوع، وهو «بكر كل خليقة، المولود من رحم الفجر» (كو١:١٥+مز١١٠:٣) والذى قال، كحكمة، «من قبل أن تقررت الجبال أبدئت»؟ وفى مواضع عديدة فى الوحى الإلهى يُقال عن الابن أنه قد وُلد، ولكن لا يُذكر فى أى موضع أنه جاء إلى الوجود، الأمر الذى يدين بوضوح هؤلاء ذوى الفهم الخاطئ عن ميلاد الرب، والذين يجرأون أن يسموا ميلاد الإلهى والفائق للوصف صنعاً. إذاً يجب ألا نقسم الأصل الواحد الإلهى العجيب إلى ثلاثة إلوهيات، وايضاً ألا ننتقص من كرامة الرب وعظمته الفائقة باستخدام اسم «صنعة»، لكن لابد أن نؤمن بالله الآب ضابط الكل، وبالمسيح يسوع ابنه، وبالروح القدس، ونؤمن أن الكلمة متحد مع إله الكون. لأنه يقول «أنا والآب واحد» (يو١٠:٣٠) و«أنا فى الآب والآب فىّ» (١٤:١٠). إذ هكذا سوف يُحفظ كل من الثالوث الإلهى والكرازة المقدسة بالأصل الإلهى.

٢٧) وفيما يخص الوجود الأزلى للكلمة مع الآب، وأنه ليس من جوهر آخر بل هو من جوهر الآب، كما قال الأساقفة فى المجمع، يمكن أن يُسمع ايضاً من **أوريجانوس** المُحب للعمل، لأن ما كتبه كأنه يتساءل، هذا لا تدع أحداً يتخذ منه تعبيراً عن أرائه الخاصة، بل تعبير عن أطراف يتجادلون فى البحث والتقصى، بل ما أعلنه هو تحديداً. هذا هو رأى الإنسان المحب للعمل. فبعد مقالته التمهيدية ضد الهراطقة، يقدم على الفور إيمانه الشخصى هكذا:

«إذا كان هناك أية صورة للإله غير المنظور، ستكون صورة غير منظورة، بل وسوف أجرؤ أن أضيف أنها، لكونها شبه الآب، لم تكن قط غير موجودة. إذ

متى كان ذلك الإله الذى بحسب يوحنا يُسمى نوراً (لأن الله «نور») بدون شعاع أو بهاء لمجده، حتى يجرؤ إنسان أن يتحدث عن أصل وجود الابن كما لو لم يكن موجوداً قبلاً؟ لكن متى كانت صورة جوهر الآب الفائق للوصف والذى بلا اسم والغير منطوق به، أى ذلك التعبير والكلمة والذى يعرف الآب، غير موجودة؟ وليفهم جيداً من يجرؤ أن يقول «كان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجوداً» أنه يقول «كان هناك وقت لم يكن فيه الحكمة موجوداً» و«الكلمة لم يكن موجوداً» و«الحياة لم تكن موجودة».

وايضاً يقول فى موضع آخر:

«لكنه ليس أمراً بسيطاً ولا بدون خطر أننا، بسبب ضعف فهمنا، نُجرِّد الله، من الكلمة الوحيد الجنس الموجود أزلياً معه، ومن الحكمة الذى سُر هو به، وإلا كان من الضرورى أن نتصوره على أنه ليس مملوء دوماً بالمسرة».

ها نحن نثبت أن هذا الفكر قد سُلم من أب إلى أب. أما أنتم أيها اليهود الجدد وتلاميذ قيافا، كم عدد الآباء الذين يمكن أن تنسبوهم لتعبيراتكم؟ ليس حتى واحد ذو فهم وحكمة، لأن الجميع يمقتونكم، إلا الشيطان وحده، فليس أحد غيره أبوكم فى هذا الإرتداد، الذى فى البداية بذر فيكم بذار هذا المروق، والذى يقنعكم الآن ايضاً أن تفتروا على المجمع المسكونى، لأنه (أى المجمع) كتب ـ ليس عقائدكم ـ بل تلك العقائد التى سلمها إلينا من البداية هؤلاء الذين كانوا شهود عيان وخدام للكلمة. لأن الإيمان الذى اعترف به المجمع كتابة هو إيمان الكنيسة الجامعة، ولكى يؤكد الآباء ذلك عبروا عن أنفسهم هكذا وهم يدينون البدعة الأريوسية. وهذا سبب رئيسى وراء إفترائهم على المجمع وثلبهم له. إذ ليست التعبيرات هى التى تزعجهم بل كون هذه التعبيرات تثبت أنهم هراطقة ووقحين أكثر من الهرطقات الأخرى.

الفصل السابع

عن المصطلح الأريوسى
"غير مبتدئ *UNORIGINATE*"

موافقتهم على هذا المصطلح فيما بعد، لماذا؟ ثلاثة معان له؛ معنى رابع؛ «غير مبتدئ» تشير إلى الله فى مقابل مخلوقاته وليس فى مقابل ابنه، «الآب» هو اللقب الكتابى. ختام.

٢٨) هذا فى الواقع كان السبب، عندما فُضحت الطبيعة الخاطئة لتعبيراتهم فى ذلك الحين ومن ثم صاروا عرضة للإتهام بالفجور، وراء أنهم مضوا قدماً ليستعيروا من اليونانيين مصطلح «غير مبتدئ» حتى ـ تحت ستار ذلك التعبير ـ يستطيعون أن يعتبروا كلمة الله ضمن الأشياء المبتدئة والمخلوقات، وهو الذى به خُلقت هذه الأشياء عينها. إنهم مملوئين صفاقة فى فجورهم، وعنيدون جداً فى تجديفاتهم ضد الرب. لو كانت هذه الصفاقة نتيجة لجهلهم بالمصطلح، كان يجب عليهم أن يتعلموا من هؤلاء الذين أعطوه لهم، والذين لم يترددوا قط فى أن يقولوا أنه حتى العقل، الذى يأخذونه من الله، والنفس التى تنبثق من العقل، رغم أن أصليهما معروفان، هما (أى العقل والنفس) غير مبتدئين، إذ يفهمون أنهم بقولهم هذا لا ينتقصون من شأن الأصل الأول الذى منه يأتى الأخرون. وإن كان الأمر هكذا، دعهم هم أنفسهم يقولون نفس هذا الكلام، وإلا فلا يتحدثون على الإطلاق عما لا يعرفونه. أما إذا كانوا يظنون أن لهم معرفة ودراية بالموضوع، فلابد إذاً أن يُسألوا، لأن (هذا) التعبير ليس من الكتاب الإلهى، لكنهم يثيرون

الجدال والنزاع ـ كما فى مواضع أخرى ـ حول النظريات غير الكتابية.

بالضبط كما سردتُ السبب والمعنى الذى به المجمع والآباء قبله عرّفوا ونشروا «من جوهر» و«مساو فى الجوهر»، بحسب ما يقوله الكتاب المقدس عن المخلص، بالمثل دعهم الآن ـ لو استطاعوا ـ أن يجيبوا من جانبهم عما قادهم إلى هذا التعبير غير الكتابى. وبأى معنى يدعون الله «غير مبتدأ»؟ لقد أُخبرت حقاً أن للاسم معان مختلفة، فالفلاسفة يقولون أنه يعنى أولاً «ما لم يأت بعد إلى الوجود لكن ربما يأتى» ثم «ما لا يوجد ولا يمكن أن يأتى إلى الوجود» وثالثاً «ما يوجد بالفعل، لكنه لم يكن مبتدأ ولا له أصل للوجود، بل هو أزلى وغير فانى». ربما سيريدون أن يتجاوزوا المعنيين الأولين بسبب السخافة التى تنتج عنهما، إذ بحسب المعنى الأول، الأشياء التى قد أتت فعلاً إلى الوجود، والأشياء التى من المتوقع أن تأتى إلى الوجود هى غير مبتدأة. والمعنى الثانى أكثر سخفاً ومنافة للعقل، إذاً بالتالى سوف يمضون قدماً إلى المعنى الثالث ويستخدمون المصطلح بحسبه، بالرغم من أنه هنا فى هذا المعنى ايضاً سيكون فجورهم عظيماً تماماً بالمثل، فإذا كانوا يقصودون بكلمة «غير مبتدئ» ما ليس له أصل لوجوده، ولا هو مبتدئ أو مخلوق، بل أزلى، ويقولون أن كلمة الله هو غير هذا، فمن ذا الذى لا يفهم مكر وخداع أعداء الله هؤلاء؟ منْ ذا الذى لن يرجم مثل هؤلاء المجانين؟ (١)

فإذ يخجلون أن يقدموا ثانية التعبيرات الأولى التى اخترعوها والتى أُدينت، أتخذ هؤلاء البائسون طريقة جديدة ليقدموا بها معنى هذه التعبيرات، وذلك عن طريق ما يسمونه «غير مبتدئ». لأنه لو كان الابن من الأشياء المبتدئة، سينتج عن ذلك أنه هو ايضاً جاء إلى الوجود من العدم، وإذا كان له أصل (بداية) لوجوده، فإن هذا يعنى أنه لم يكن موجوداً قبل ميلاده، وإذا لم يكن أزلياً، إذاً كان هناك وقت لم يكن هو موجود فيه.

١) هذه إشارة إلى عقاب التجديف وعبادة الأوثان فى الشريعة اليهودية فى خروج ١٩:١٣+ ٢١:١٧. المترجم.

٢٩) إذا كانت هذه آراؤهم، يجب أن يعلنوا هرطقتهم بتعبيراتهم هم، وألا يخفوا ضلالهم تحت عباءة تعبير «غير المبتدئ». لكن بدلاً من ذلك، هؤلاء ذوى الأذهان الشريرة يفعلون سائر الأشياء بمكر مثل أبوهم الشيطان، إذ كما يحاول أن يخدع متنكراً فى صورة آخرين، كذلك هم بدأوا فى استخدام مصطلح «غير مبتدئ» حتى يدعوا أنهم يتحدثون بتقوى عن الله، إلا أنهم يغذون تجديفاً خفياً ضد الرب وتحت ستار يستطيعون أن يعلموه لآخرين. على أية حال، ما الذى يبقى لهم عند إفتضاح هذه السفسطة والجدل العقيم؟ «لقد وجدنا آخر» هكذا يقول فاعلوا الشر، وعندئذ يمضون قدماً ليضيفوا إلى ما قد قالوه سابقاً، أن «غير المبتدئ» يعنى ما ليس له سبب للوجود (فاعل لوجوده)، بل هو موجود بذاته. إنهم جاحدون حقاً وأصماء عن الكتاب المقدس!! يفعلون كل شئ ويقولون كل شئ، ليس لكى يكرموا الآب بل لكى يهينوا الآب، غير عالمين أن منْ يهين الابن يهين الآب، لأنه أولاً، حتى بالرغم من أنهم يشيرون إلى الله بهذه الطريقة، إلا أنه لم يثبت أن الكلمة من ضمن الأشياء المبتدئة، إذ ايضاً لكونه مولود من جوهر الآب، هو بالتالى معه أزلياً، لأن الاسم «مولود» لا ينتقص من طبيعة الكلمة، ولا «غير مبتدئ» يأخذ معناه من المقابلة مع الابن، بل من المقابلة مع الأشياء التى جاءت للوجود بالابن، إذ كما أن منْ يخاطب معمارياً ويدعوه بانى مبنى أو مدينة، لا يلمح باستخدامه لهذا اللقب إلى الابن المولود منه، بل بسبب الفن والعلم اللذين يظهرهما فى عمله يدعوه صانعاً، مشيراً بذلك إلى أنه ليس مثل الأشياء التى صنعها، وبينما هو يعرف طبيعة البانى، يعرف ايضاً أن ذلك المولود منه هو آخر غير الأشياء التى صنعها، وفيما يخص ابنه يدعوه أباً، لكنْ فيما يخص صنائعه، يدعوه خالقاً وصانعاً، وبالمثل، منْ يقول بذلك المعنى أن الله غير مبتدئ إنما يسميه هكذا من جهة صنائعه، مشيراً فقط إلى أنه ليس مبتدئ، بل أنه خالق الأشياء المبتدئة، ومع ذلك، هو واع ومدرك ـ بالإضافة إلى ذلك ـ أن الكلمة هو مختلف عن الأشياء المبتدئة وهو وحده المولود الحقيقى للآب، الذى به جاءت سائر الأشياء إلى الوجود وتُوجد.

٣٠) بالمثل عندما تحدث الأنبياء عن الله كضابط للكل، لم يدعونه هكذا كما لو كان الكلمة متضمناً فى ذلك «الكل» (لأنهم عرفوا أن الابن هو غير الأشياء المبتدئة، وضابط عليها هو نفسه بحسب شبهه للآب)، بل لأنه ضابط جميع الأشياء التى خلقها بالابن، وأعطى الابن السلطان على سائر الأشياء، وإذ أعطاه (السلطان)، هو نفسه ايضاً رب سائر الأشياء بالكلمة. ايضاً عندما دعوا الله «رب القوات» لم يقولوا ذلك كما لو كان الكلمة واحداً من هذه القوات، لكن لأنه، بينما هو آب لابن، هو رب القوات التى أتت للوجود للابن. لأن الكلمة ايضاً، إذ هو فى الآب، هو ربهم جميعاً وضابط على الكل، لأن كل ما هو للآب هو للابن. هذه هى إذاً قوة ومضمون هذه الألقاب. وبالمثل، دع أى إنسان يدعو الله «غير مبتدئ» إن كان ذلك يسره، لكن ليس كما لو كان الكلمة ضمن الأشياء المبتدئة، إنما لأن الله – كما أسلفتُ – ليس فقط غير مبتدئ، لكنه بكلمته الحقيقى هو خالق الأشياء المبتدئة. إذ رغم أن الآب يُدعى هكذا، إلا أن الكلمة هو صورة الآب، ومساو له فى الجوهر، ولكونه صورته، لابد أن يكون متميزاً عن الأشياء المبتدئة وعن كل شئ، لأن له خاصية وشبه ذلك الذى هو صورة له. حتى أن منْ يدعو الآب غير مبتدئ وضابط الكل، يدرك فى تعبير «غير مبتدئ» وفى تعبير «ضابط الكل» كلمته وحكمته الذى هو الابن. لكن هؤلاء القوم المدهشين والمتأهبين للفجور توصلوا إلى تعبير «غير مبتدئ» ليس كما لو كانوا يهتمون بكرامة الله، بل بحقد تجاه المخلص. إذ لو كانوا يهتمون بالكرامة واللغة الموقرة، لكان من الصواب والجيد أن يعترفوا ويدعوا الله آب، بدلاً من أن يلقبونه بهذا الاسم، إذ فى تلقيب الله «غير مبتدئ»، هم – كما قلت قبلاً – يلقبونه من جهة الأشياء التى جاءت إلى الوجود، وكخالق فقط، حتى يقولوا ضمناً أن الكلمة مخلوق بحسب مسرتهم، أما منْ يدعو الله «آب»، يشير فيه – بالإضافة إلى ذلك – إلى ابنه ايضاً، ولا يمكن ألا يعرف أنه طالما أن هناك ابن، فبهذا الابن جميع الأشياء التى جاءت إلى الوجود قد خُلقت.

٣١) لذلك سيكون أدق جداً أن نشير إلى الله من جهة ابنه، وأن ندعوه آب، أفضل من أن ندعوه «غير مبتدئ» من جهة صنائعه فقط. لأن التعبير الأخير (أى غير مبتدئ) يشير إلى المخلوقات التى جاءت للوجود بحسب مشيئة الله بالكلمة، أما اسم «الآب» فيشير إلى الابن الحقيقى الذى من جوهره. وكما أن الكلمة يفوق الأشياء المبتدئة، كذلك بنفس المقدار وأكثر، يفوق اسم الله «آب» تسميته «غير مبتدئ». لأن الأخير مصطلح غير كتابى وغريب وله معان متنوعة. أما الأول فبسيط وكتابى وأدق، وهو وحده يشير إلى الابن. و«غير مبتدئ» هى كلمة من كلمات اليونانيين الذين لا يعرفون الابن، أما كلمة «الآب» فقد أقرها وأجازها ربنا، إذ عندما عرّف نفسه وابن منْ هو قال «أنا فى الآب والآب فىّ» (يو١٤ :١٥) و«منْ رآنى فقد رأى الآب» (يو١٤ :٩) و«أنا والآب واحد» (يو١٠ :٣٠) بينما لم يرد فى أى موضع أنه دعى الآب «غير مبتدئ». كذلك عندما يعلمنا أن نصلى لا يقول «فصلوا أنتم هكذا، يا الله غير المبتدئ»، بل «فصلوا أنتم هكذا، أبانا الذى فى السموات» (مت٦ :١٩) وقد كانت مشيئته أن يحمل قانون إيماننا هذا المعنى. لأنه قد أمرنا أن نعتمد، ليس باسم غير المبتدئ والمبتدئ، وليس باسم غير المخلوق والمخلوق، بل باسم الآب والابن والروح القدس، إذ بمثل هذا الطقس نصير نحن ايضاً أبناء فعلاً، وباستخدام اسم «الآب»، نعترف بهذه الطريقة بالكلمة الذى فى الآب. لكن إذا كان هو يريد أن ندعو أباه أبانا، فيجب علينا ألا نعتبر أنفسنا مساويين للآب بحسب الطبيعة بسبب ذلك، إذ بسبب الابن ندعو نحن الآب هكذا. فإذ حمل الكلمة جسدنا وحل بيننا (فينا)، لذلك – لأن الكلمة حل بيننا (فينا) – يُدعى الله أبانا. لأن روح الكلمة الذى فينا يدعو أباه هو أباً لنا، وهذا ما كان يعنيه الرسول عندما يقول «أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا، الآب» (غلا٤ :٦).

٣١) لكن ربما عندما يُدحضون فيما يخص تعبير «غير مبتدئ» ايضاً، يقولون بحسب طبيعتهم الشريرة: «كان يجب فيما يخص ربنا ومخلصنا يسوع المسيح ايضاً أن نسرد من الكتاب المقدس ما قد كُتب عنه فيه، وليس أن نبتكر تعبيرات

غير كتابية». نعم كان يجب ذلك، أقول أنا ايضاً، لأن علامات الحق تكون أدق عندما تؤخذ من الكتاب المقدس منها عندما تؤخذ من أى مصادر أخرى، لكن الميول الشريرة وعدم التقوى المتقلب والماكر اللذين ليوسابيوس وأتباعه أرغما الأساقفة ـ كما أسلفت ـ على أن يكتبوا بتحديد وتمييز أكثر التعبيرات التى دحضت فجورهم. وقد ثبت أن لما كتبه المجمع معنى مستقيم، بينما ثبت أن الأريوسيين فاسدون فى تعبيراتهم وأشرار فى ميولهم. ورغم أن تعبير «غير مبتدئ» له معناه الخاص الذى يمكن أن يُستخدم إستخداماً تقياً، إلا أنهم، بحسب فكرتهم الخاصة وطبقاً لإرداتهم، يستخدمونه ليهينوا المخلص، وكل ذلك إنما هو لكى يستمروا بمشاكسة مثل الجبابرة فى صراعهم مع الله. لكن كما أنهم لم ينجوا من الإدانة عندما قدموا التعبيرات الأولى، كذلك ايضاً عندما أساؤا فهم تعبير «غير مبتدئ» الذى هو نفسه يسمح باستخدامه حسناً وبتقوى، قد أُكتشفوا وفُضحوا أمام الجميع وحُرمت بدعتهم فى كل مكان.

هذا إذاً ـ حسبما استطعتُ ـ قد سردته شارحاً ما قد تم قبلاً فى المجمع. لكنى أعلم أن المشاكسين من أعداء المسيح لن يكونوا مستعدين للتغيير حتى بعد سماع ذلك، بل سوف يبحثون دوماً عن مزاعم أخرى، وعن أخرى ايضاً بعد هذه، لأن النبى يقول «هل يغير الكوشى جلده أو النمر رقطه، فأنتم ايضاً تقدرون أن تصنعوا خيراً أيها المتعلمون شراً» (أر١٣: ٢٣).

أما أنت أيها المحبوب، فعند استلامك هذه الرسالة، إقرأها لنفسك، وإذا وافقت عليها إقرأها ايضاً للإخوة الذين يكونون حاضرين، حتى أنهم ايضاً عندما يسمعونها يمكن أن يرحبوا بغيرة المجمع على الحق وبدقة معناه، ويدينون معنى أعداء المسيح الأريوسيين ومزاعمهم العقيمة التى، لأجل بدعتهم الشريرة، كانوا يجتهدون لأن يبتدعوها فيما بينهم.

لأن لله والآب يليق المجد والكرامة والعبادة، مع ابنه وكلمته الكائن معه، مع الروح كلى القداسة ومعطى الحياة، الآن وإلى دهر الدهور الأبدية، آمين.

الفهرس

من إصدارات إخثوس ΙΧΘΥΣ

١) سلسلة آباء الكنيسة

١) القديس ايريناؤس اسقف ليون
٢) العلامة بنتينوس السكندرى
٣) العلامة يوسابيوس القيصرى
٤) القديس ديديموس الضرير
٥) العلامة لاكتانتيوس
٦) القديس ميثوديوس الاوليمبى
٧) اغريغوريوس صانع العجائب
٨) القديس ايفاجريوس البنطى
٩) القديس هيلاري اسقف بواتييه
١٠) الرسالة الي ديوجنيتس
١١) القديس ابيفانيوس
١٢) أمهات قديسات
١٣) العلامة ترتليان
١٤) القديس إيسيذروس الفرمى
١٥) جُهال من أجل الله
١٦) ثيؤفان الحبيس
١٧) القديس كيرلس الكبير
١٨) القديس أموناس
١٩) الأباء المؤرخون
٢٠) القديس بوليكاربوس
٢١) القديس يوحنا التبايسى
٢٢) القديس ألكسندروس
٢٣) أفراهات السريانى
٢٤) القديس ايلاريون الكبير
٢٥) يوحنا كاسيان
٢٦) القديس يوستين والأباء المدافعون
٢٧) القديس يعقوب البرادعى
٢٨) البابا أثناسيوس (مجمع نيقية)

